مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصَّلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين ، وبعد ؛

فإن فواتح سورة البقرة اشتملت على معان عظيمة ، اشتملت على تعظيم القرآن الكريم ، وهي بدايات المصحف ليقبل المسلم على كتاب الله ﷻ بكلِّ حب ورغبة ، واشتملت على صفات المتَّقين ؛ والتقوى مقصد شعائر الله وعباداته من صلاة وصيام وحج وزكاة وإنفاقٍ ، وغيرها ، وقبل هذا وبعده الإيمان الذي هو أساس هذا الدين ومصدر قوته ، ويزداد هذا الدين سَعَة عندما يشمل الإيمان بما أُنزل على هذا النبيِّ الكريم وما أُنزل على أنبياء الله ورسله على مدى الأزمان منذ خلق الله الأرض ومَنْ عليها ، وهم مع ذلك لا يغيب عنهم اليوم الآخر ؛ لأنه الغاية والنهاية التي يصل إليها الإنسان الذي اتَّقى الله ﷻ فيصل إلى جنَّته ، والذي لم يتقه فيصل إلى ناره والعياذ بالله .

كل هذه الصفات هي صفات التقوى ، والتي إذا لزمها الإنسان كان من المفلحين الفائزين ، جعلنا الله وإياكم منهم .

نسأل الله ﷻ أن يبصِّرنا بمعاني هذه الآيات الكريمة ، التي افتتح الله بها أطول سورة في كتاب الله ، بل أول سورة في المصحف بعد فاتحة الكتاب والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

د . عبد الله بن علي بصفر



فضل سورة البقرة

أول ما نبدأ به الكلام عن هذه السورة العظيمة ، أن نبين بعض ما جاء في فضلها ، فقد جاء في فضل سورة البقرة أحاديث كريمة عن نبينا ﷺ مبيناً لفضلها ومكانتها .

وسورة البقرة فيها من الحكم والأحكام والتشريعات ما لو أخذت بها أمة من الأمم لنجت ولفازت ، ولنجحت ولأفلحت ، ولكنَّ كثيراً من المسلمين وللأسف الشديد بعيدين عن هذه التوجيهات وعن هذه التشريعات ، وعن هذه الحكم والأحكام .

وقد جاء في هذه السورة وحدها شيءٌ كثيرٌ وعظيم جداً .

قال ابن العربي رحمه الله : سمعت بعض أشياخي يقول فيها ألفُ أمرٍ ، وألفُ نهيٍ ، وألف حكم ، وألف خبر [1] .

وهذه السورة كما قال العلماء هي سورة مدنية بأكملها وبلا خلاف .

وفيها آخرُ آيةٍ نزلتْ من القرآن العظيم ، وهي قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

(١) « الجامع لأحكام القرآن » (١ / ١٠٧) ط. دار الكتب العلمية .

وفيها أفضل آية في القرآن ، وهي آية الكرسي[1] .

وفيها أطول آية وهي آية المداينة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ... ﴿٢٨٢﴾ ﴾ .

وثبت في فضلها كثيرٌ من الأحاديث منها :

حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان يفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة)[2] .

وفي رواية الترمذي : (لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن البيت الذي تُقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان)[3] .

ما أعظم هذا الحديث النبوي الشريف الثابت عن نبينا ﷺ ؟! (لا تجعلوا بيوتكم مقابر) لا تجعلوها خاوية ، لا تجعلوها تشبه القبور في خُلوِّها من العبادة والذكر ، في خلوها وفي صمتها وفي هدوئها ، بل اجعلوها تدوِّي فيها آيات الله تبارك وتعالى .

وكم جلب الشيطان إذا دخل بيوت الناس من مشاكل ؟!، وكم خَرَّب من ديار ؟!، وكم شتت من شمل ؟!، وكم مَزَّقَ من أُلفة واجتماع ؟!.

والوقاية خير من العلاج ، وقد عَلَّمنا النبيُّ ﷺ أن نقرأ هذه السورة في البيت ، فإن وفَّقَكَ الله قرأتَ هذه السورة ، وأوصيتَ زوجتكَ أن تقرأَها ،

---

(١) تحدثت عن بعض ما يتعلق بهذه الآية العظيمة في كتابي : « تأملات في آية الكرسي » .

(٢) رواه مسلم (٧٨٥) .

(٣) رواه الترمذي (٢٨٧٧) وقال : حديث حسن صحيح .

وأبناءَك وبناتك ، فإن لم يكن هناك مَن يستطيع أن يقرأ ؛ اشتريت شريطاً سُجِّلت عليه هذه السورة العظيمة ، فجعلته في البيت .

وعن أبي أمامة الباهلي ﵁ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين : البقرة ، وسورة آل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان) والغياية هي ما يتظلل به الإنسان (أو كأنهما فِرْقَان من طيرٍ صَوَافَّ) أي كأنهما مجموعتين وقطعتين من طيورٍ مصفوفة (تُحَآجَّانِ عن صاحبهما) تدافعان عنك بين يدي الله ﷿ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ فتأتي هذه السورة تدافع وتحاج عنك يوم القيامة (اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركةٌ ، وتركها حسرةٌ ، ولا تستطيعها البطلة)[1] يعني السحرة .

(أخذها بركة) من حفظها وقرأها فإنها بركة في صحته ، وفي أولاده ، وفي أمواله ، ومن تركها فهي حسرة وندامة عليه ، والبطلة والسحرة لا يستطيعونها بإذن الله ﷿ .

وفي الحديث عن أُسيدِ بن حضيرٍ ﵁ أنه قال : يا رسول الله ، بينما أنا أقرأُ الليلةَ سورة البقرةِ إذ سمعتُ وجبةً من خلفي ـ يعني سمعت صوتاً عالياً ـ فظننت أن فرسي انطَلَقَ ، فقال رسول الله ﷺ : (اقرأ أبا عتيكٍ) يقول أسيد :

(١) رواه مسلم (٨٠٤) .

فالتَفَتُّ ، فإذا مِثلُ المصباحِ مُدَلًّى بينَ السماء والأرضِ ، ورسول الله ﷺ يقول : (اقرأ أبا عتيك) ، فقال : يا رسول الله ، فما استطعت أن أمضيَ ، فقال رسول الله ﷺ : (تلك الملائكة تَنَزَّلت لقراءة سورة البقرة ، أما أنك لو مضيت لرأيت العجائب) [1] .

وفي الحديث الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذوو عددٍ ، فاستقرأهم ـ أي سألهم مامعهم من القرآن ـ فاستقرأ كلَّ واحدٍ منهم ما معه من القرآن ، فأتى على رجلٍ من أحدثهم سِنّاً فقال : (ما معك يا فلان ؟) قال : معي كذا وكذا وسورة البقرة ، فقال عليه الصلاة والسلام : (أمعك سورة البقرة ؟) قال : نعم . فقال عليه الصلاة والسلام : (اذهب فأنت أميرهم) ؛ قدَّمه بسورة البقرة ؛ وليس بالفصاحة والبيان ، ولا بشيءٍ آخر سوى القرآن ؛ قال : (اذهب فأنت أميرهم) فقال رجل من أشرافهم : والله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة ، إلا أني خشيت أن لا أقوم بها . يعني : أن أقوم الليل وأصلي بها ؛ فقال رسول الله ﷺ : (تعلموا القرآن فاقرؤوه وأقرئوه ، فإن مَثَلَ القرآن لمن تَعلَّمه فقرأه وقام به كَمَثَلِ جرابٍ محشوٍ مِسْكا يفوحُ ريحُهُ في كلِ مكانٍ ، ومثلُ من تعلَّمه فيرقد وهو في جوفه كَمَثَل جرابٍ وُكيءَ على مِسكٍ) [2] .

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٧٧٩) ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه الترمذي (٢٨٧٦) وقال : حديث حسن .

لما انهزم بعض الصحابة يوم حنين وتزعزعت نفوسهم فنادى فيهم النبي ﷺ يا أصحاب سورة البقرة ، يا أصحاب سورة البقرة فلما سمعوه اجتمعوا حـول النبي ﷺ وجاءهم نصر الله تبارك وتعالى [1] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قـال : إن لكـل شيءٍ سِـناماً وإنَّ سِـنام القـرآن سورةُ البقرة ، وإن لكل شيءٍ لُباباً ، وإن لُباب [2] القرآن المُفصَّل ، وما خلـق الله من أرضٍ ولا سماء ولا سهل ولا جبل أعظم من آية الكرسي ، وإن الشيطان لا يدخل بيتاً تقرأ فيه سورة البقرة ، وإن أصفر [3] البيوت للجوف الذي ليس فيـه من كتاب الله شيء [4] .

(١) انظر صحيح مسلم (١٧٧٥) كتاب الجهاد بـابٌ في غـزوة حنـين ؛ ومـسند أحمـد (١٧٧٥) ، و (١١٧٦)

(٢) قال أبو محمد الدارمي : اللُباب : الخالص .

(٣) الصفر : الخالي الذي ليس فيه شيء .

(٤) رواه الحاكم (١/ ٥٦١) وقال صحيح الإسناد ، وأقره الذهبي .

﴿ الٓمٓ ﴾

الحروف النورانية :

استفتح الله تعالى بعض سور القرآن بالحروف المقطَّعة وهي : أربعة عشر حرفاً ، وهي : نصف حروف الهجاء الثمانية والعشرين ـ بدون الألف ـ ، وذكرت في تسعة وعشرين سورة ؛ وهو عدد حروف الهجاء إذا ذكرت مع الألف .

وهذه الحروف جمعها بعضهم في قولك : [نصٌّ حكيمٌ قاطعٌ له سر] ، وتُسمَّى بالأحرف النورانية وتوزيع هذه الأحرف على السور كما يلي :

١- تبدأ سورتان بخمسة أحرفٍ ، هما : " مريم " وأولها : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ ، و" الشورى " ، وأولها : ﴿ حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ﴾ .

٢- وتبدأ سورتان بأربعة أحرف هما : " الأعراف " وأولها : ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ ، و " الرعد " وأولها : ﴿ الٓمٓرٰ ﴾ .

٣- وتبدأ ثلاث عشرة سورة بثلاثة أحرف ؛ منها :

- ست سور تبدأ كلٌّ منها بـ ﴿ الٓمٓ ﴾ وهي : البقرة ، وآل عمران ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة .
- وخمس سور تبدأ كل منها بـ ﴿ الٓرٰ ﴾ وهي : يونس ، وهود ، ويوسف ، وإبراهيم ، والحجر .

- وسورتان تبدءآن بـ ﴿ طسٓمٓ ﴾ وهما : الشعراء والقصص .

٤- وتبدأ تسع سور كلٌ منها بحرفين ؛ منها :

- ست سور تبدأ بـ ﴿ حمٓ ﴾ وهي : غافر ، وفصلت ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف .

- و السور الثلاث الباقية هي : ﴿ طه ﴾ ، و ﴿ طسٓ ﴾ " النمل " ، و ﴿ يسٓ ﴾ .

٥- وتبدأ ثلاث سورٍ كل منها بحرف واحد ، وهي : ﴿ صٓ ﴾ ، و ﴿ قٓ ﴾ ، و﴿ نٓ ﴾ " القلم " .

معاني الحروف المقطعة في أوائل السور :

واختلف العلماء في هذه الحروف على أقوال [1] :

الأول : أنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، وهي مما استأثر الله بعلمه ، فردُّوا علمها إلى الله ولم يفسِّروها ، حكاه القرطبي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنه ، وهو قول الشَّعبي والثوري وجماعةٌ من المحدثين .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : في كلِّ كتاب سرٌّ ، وسرُّ الله تعالى في القرآن أوائل السور .

---

(١) انظر في تفصيل هذه الأقوال : (جامع البيان) للطبري (١/ ٢٠٤ ـ ٢٢٨) ، و(معالم التنزيل) للبغوي (١/ ٥٨ ، ٥٩) ، و (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (١/ ١٠٨ ــ ١١٠) ، و (الكشاف) للزمخشري (١/ ٢١) ، و (محاسن التأويل) للقاسمي (١/ ٣٢) .

وقال عليُّ بن أبي طالب ﷺ : لكلِّ كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجّي .

وقال داود بن أبي هند : كنت أسأل الشَّعبي عن فواتح السور فقال : يا داود ، إنَّ لكلِّ كتاب سراً ، وإن سرَّ القرآن فواتح السور ، فدعها وسَلْ عمَّا سوى ذلك .

الثاني : أنها حروف أقسم الله بها ؛ قاله ابن عباس وعكرمة . قال الأخفش : إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مباديء كتبه المنزلة ومباني أسمائه الحسنى [1] .

الثالث : أن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه ويدل عليه كما قال ابن عباس في : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ : الكاف من كافي ، والهاء من هادي ، والياء من حكيم ، والعين من عليم ، والصاد من صادق .

وقيل في : ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ : أنا الله الملك الصادق .

وقال الربيع بن أنس في ﴿ الٓمٓ ﴾ : الألف مفتاح اسمه (الله) ، واللام مفتاح (اللطيف) ، والميم مفتاح اسمه (المجيد) .

وقال محمد بن كعب : الألف آلاء الله ، واللام لطفه ، والميم ملكه .

وروى سعيد بن جُبير عن ابن عباس أنه قال : معنى (الٓمٓ) : أنا الله أعلم ، ومعنى (الٓمٓصٓ) : أنا الله أعلم وأفضل ، ومعنى (الٓر) : أنا الله أرى ، ومعنى (الٓمٓر) : أنا الله أعلم وأرى .

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٠٥) ، وتفسير البغوي (١/ ٥٩) .

قال الزجّاج : وهذا حَسَن ، فإن العرب تذكر حرفاً من كلمة يريدها كقولهم : قلت لها : قفى لنا . قالت : قاف . أي وقفت .

وعن سعيد بن جبير قال : هي أسماء الله تعالى مقطعة ، لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم . ألا ترى أنك تقول (الٓر) ، و (حمٓ) و (نٓ) فتكون الرحمن ، وكذلك سائرها إلا أنا لا نقدر على وصلها .

الرابع : أنها أسماء للسور ، وهو قول زيد بن أسلم ، وجماعة من المتكلمين ، ونقله الزمخشري عن الأكثرين .

فهذه سورة (قاف) ، وسورة (نون) ، وسورة (ياسين) ، وسورة (طه) ، وسورة (الٓمٓ) البقرة ، و (الٓمٓ) آل عمران ... وهكذا .

الخامس : أن المقصود منها هو تنبيه السامعين وإيقاظهم ، وذلك أن قرع السَّمع في أول الكلام بالأمر الغريب دافع لها أن تُصغي وتتأمَّل ؛ فهي من وسائل التشويق .

ويروى أن النبَّي ﷺ كان يجهر بالقراءة في الصَّلوات ، وكان المشركون يُصفِّرون ويصفقون ؛ فنزلت هذه الحروف المقطَّعه فسمعوها فصاروا متحجِّرين متعجِّبين منه ؛ ويكون تعجُّبهم سبباً لاستماعهم ؛ واستماعهم لها سبباً لاستماع ما بعدها ، فتقوم الحجه عليهم .

السادس : أن المقصود منها بيان نبوة محمد ﷺ من ناحيه أنه ينطق بأسماء الحروف ، مع أنه أُمِّيٌّ لم يقرأ ولم يكتب ، والنُّطق بأسماء الحروف من شأن القاريء وحده ، ولاسبيل للأمي إلى معرفتها ولا النطق بها ، فنطقه بها دليل على أنه من عند الله تعالى .

السابع : إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها ؛ بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركَّب من هذه الحروف التي يُخاطبون بها ، وإلى هذا القول ذهب جماعة من العلماء وأيَّده شيخ الإسلام ابن تيمية [1] .

(١) انظر "تفسير ابن كثير" (١/ ١٧٨ ، ١٧٩) ط . ابن حزم .

ﭑﭒﭑﭒﭑﭒﭑﭒﭑﭒﭑﭒ

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾

ﭓﭔﭓﭔﭓﭔﭓﭔﭓﭔﭓﭔ

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ، أي : هذا الكتاب ، وهو القرآن .

وأشار الله ﷻ إلى الكتاب بالإشارة إلى البعيد فقال : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ والمراد هذا القرآن ؛ تعظيماً له وتكريماً ؛ ورفع شأنٍ وعلو مكانة ؛ فكتاب الله ﷻ له المكانة العالية ، فلذلك أشار الله ﷻ إليه بالإشارة إلى البعيد ، فقال : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ولم يقل هذا الكتاب .

وقوله : ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ اسم من أسماء كتاب الله ﷻ العظيمة ، كما أن : ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ اسم من أسماء كتاب الله تبارك وتعالى ، وأسماء القرآن كثيرة ، ولكن هناك اسمان اثنان هما (القرآن ، والكتاب) هما أعظم اسمين لهذا الكتاب العظيم المنزل على نبينا محمدٍ ﷺ ٱلْقُرْءَانَ.

ولماذا هما أعظم اسمين ؟ لأن القرآن حُفِظَ بالقراءة والحفظ في الصدور ، وحفظ بالكتابةِ في السطورِ ، حُفِظَ في صدور الصحابة قراءةً ، وحُفِظَ كتابةً في سطور الأوراق ؛ فحفظ القرآن بهذين الصفتين والطريقتين ، فأصبح هذان الإسمان هما أعظم الأسماء لكتاب الله تبارك وتعالى (القرآن العظيم ، والكتاب الكريم) .

والكتاب مأخوذ من الكتابة، والكتابة في زمن النبي ﷺ كانت عزيزةً وقليلة، ومع ذلك لما كان القرآن ينزل على نبينا وحبيبنا محمد ﷺ كان ينزل مُنَجَّماً حسب الوقائع وحسب الأحداث، وكان للنبي ﷺ كُتَّابُ وحي تَعلَّموا القراءة والكتابة، وكان عليه الصلاة والسلام أُمِّياً لا يقرأ ولا يكتب؛ لا يعرف أشكال الحروف، ولا كيف يَقرؤوها أو يكتبها ﷺ.

وكان من كُتَّابِ الوحي: علي بن أبي طالب؛ وزيد بن ثابت؛ وأُبيُّ بن كعب؛ ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين.

فإذا نزلت الآية على حبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام، قال له جبريل: يا محمد، إن الله يأمرك أن تضع هذه الآية في موضع كذا، في رأس سورة كذا وكذا.

فيأتي عليه الصلاة والسلام إلى أصحابه ويقول لهم: ضعوا هذه الآية في موضع كذا، فكان القرآن ينزل فتنزل هذه الآية فتوضع في سورة البقرة، وتلك في سورة آل عمران، وتلك في سورة كذا، وهكذا يقسمها ليس من عند نفسه ولكن توقيفاً من الله تبارك وتعالى، وتعليماً من جبريل لحبيبنا ﷺ، ثم لأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم.

ثم على أي شيءٍ كانوا يكتبون هذه الآيات العطرة الكريمة؟.

كانوا يكتبونها على العسب ، وعلى اللخاف ، وعلى الرقاع ، وقطع الأديم ، وأكتاف العظام ، وعلى أشياء من هذا القبيل لندرة الورق في أيامهم ، ولقلة الكتابة في مكة .

أما العسب : فهي من شجر النخل ، وأما اللخاف : فهي الحجار الرقيقة ، وأما الرقاع : فهي إما من الجلد ، وإما من الورق وهو نادر ، فأي شيءٍ تيسر من عظامٍ أو من أديمٍ أو من لخافٍ أو عسبٍ أو غير ذلك كتب عليه الصحابة .

ثم تُجمَعُ هذه الأشياء المختلفة التي تختلف بعضها عن بعض ، حجارة وعظام وأوراق وجلود ، تجمع في بيت النبي ﷺ .

والرسول عليه الصلاة والسلام لم يجمع القرآن في عصره وفي زمانه في مصحفٍ واحد ، لسببٍ واضحٍ وبَيِّن ، وهو أن القرآن كان ينزل على الرسول باستمرار ، إلى السنة التي توفَّاه الله ﷻ فيها .

فما كان له عليه الصلاة والسلام أن يكتبه مصحفاً ، والقرآن لم يكتمل بعد ؛ فجمع بهذه الطريقة ، وكان في صدور الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وأرضاهم ، وفي صدره عليه الصلاة والسلام ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[1] شهادة من الله لأصحاب النبي ﷺ .

---

(١) العنكبوت : ٤٩ .

فحفظه عليه الصلاة والسلام ، بل وكان يقوم ويصلي به في الليل عليه الصلاة والسلام حتى تفطرت قدماه ، فقيل له عليه الصلاة والسلام في ذلك ، فقال : (أفلا أكون عبداً شكوراً) [1] فكان سيد الحُفَّاظِ ﷺ ، وذلك لما نزل عليه قوله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ ﴾[2] .

وكان جبريل عليه السلام يراجعه القرآن في كل عام مرة في رمضان ، ويُذاكِره ما حفظه ، ويراجعه معه عليه الصلاة والسلام .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا قرأ جبريل القرآن يُردِّد وراءَ جبريلَ خوفاً من أن ينسى شيئاً من القرآن ، فنهاه الله تبارك وتعالى وقال له : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[3] يعني سنحفظك القرآن فلن تنساه ، فهذه ليست مهمتك أن تحفظ ، وإنما هي مهمة الله تبارك وتعالى ، يُسَجِّلَه في عقلك وقلبك تسجيلاً من المرة الأولى ، فحفظه عليه الصلاة والسلام .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٦) ، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ ، والبخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠) من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبيِّ ﷺ .

(٢) المزمل : ١ ـ ٥ .

(٣) الأعلى : ٦ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدةً، وكان مما يُحرِّك شفتيه ـ فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما، فحرك شفتيه ـ فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾. قال: جمعه له في صدرك وتقرأه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ فاستمع له وانصت: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[1] ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه[2].

قال ابن عباس: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي، كان مما يحرك به لسانه وشفتيه. فيشتد عليه. فكان ذلك يُعرف منه. فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ أخذه ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ إن علينا أن نجمعه في صدرك ﴿ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ فتقرأه. ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قال: أنزلناه فاستمع له. ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ أن نبينه بلسانك. فكان إذا أتاه جبريل أطرق. فإذا ذهب قرأه كما وعده الله[3].

---

(١) القيامة: ١٦ ـ ١٩.

(٢) رواه البخاري (٥).

(٣) رواه مسلم (٤٤٨).

وأخذه الصحابة من فمه عليه الصلاة والسلام غضاً طرياً فانطبع في قلوبهم ونفوسهم رضوان الله تعالى عليهم جميعاً ، وكان العرب مشهورين قبل الإسلام بشدة الحفظ ، وقوة الحافظة ، وقوة عقولهم حتى أنهم ليحفظون من أول مرة ؛ كان الواحد منهم يسمع أبياتاً طويلة من الشعر ، فإذا به يحفظها فور سماعها فجاء القرآن ونزل على هذا المجتمع العربي سريع الحفظ ، فحُفِظَ كتابُ الله ﷻ في الصدور ، ثم جاءت هذه الكتابة ، وأثبت هذا القرآن العظيم في السطور .

ولما توفي النبي عليه الصلاة والسلام ، واكتمل نزول القرآن ، وحدثت معركة اليمامة ، وكان فيها جماعة كبيرة من القُرَّاء حفظة القرآن العظيم من الصحابة ، وقُتل منهم سبعون رجلاً في تلك المعركة ، سبعون من قُرَّاء القرآن العظيم يموتون في معركة واحدة ، هي معركة اليمامة المعروفة مع مسيلمة الكَذَّاب الذي ادعا النبوة ؛ مما دفع الصحابة رضوان الله عليهم للتفكير في جمع القرآن وتدوينه .

ففي صحيح البخاري عن زيد بن ثابت قال : أرسل إليَّ أبو بكر مَقتَلَ أهلِ اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر بن الخطاب أتاني ، فقال: إنَّ القتل قد استَحَّر[1] بِقُرَّاءِ القرآن ، وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقُرَّاء

(١) يعني : اشتدّ .

في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القـرآن. فقلـت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الـذي رأى عمر .

قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتَّهِمك ، وقد كنت تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ ، فتتبَّع القرآن فاجمعه . والله لو كلَّفـوني نقـل جبـل مـن الجبال ما كان عليَّ أثقل مما أمرني به من جمع القرآن .

قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير ؟.

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح لـه صـدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتتبَّعت القرآن أجمعـه مـن العـسب واللِّخَـاف [1] وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبـة مـع أبي خُزيمـة الأنـصاري ، لم أجدها مع غيره [2] قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ... ﴾ حتى خاتمة براءة .

---

(١) اللِخاف : بكسر الَّلام؛ جمع "لخفة" ، وهي صفائحُ الحجارة الرقاق، وتُجمع على "لُخُف" بضمتين ، "فتح الباري" (٨/ ٦٣١) .

(٢) يعني : مكتوبة ، صرَّح به جماعة منهم الحافظ في "الفتح" (٨/ ٦٣٢) .

فكانت الصُحف عند أبي بكر ﷺ حتى توفاه الله ، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي ا لله عنها وعن أبيها [1] .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : وهـذا أحسنُ وأَجَلُّ وأعظمُ ما فعله الصديق ﷺ ، فإنه أقامه الله تعالى بعد النبِّي ﷺ مقاماً لا ينبغي لأحدٍ من بعده : قاتلَ الأعداء من مانعي الزكاة والمرتدين والفرس والروم، ونفَّذ الجيوش، وبعثَ البعوثَ والسرايا ، وردَّ الأمر إلى نصابه ، بعد الخوف من تفرُّقِهِ وذهابه ، وجمعَ القرآن العظيم من أماكنِهِ المتفرقة حتى تمكَّن القارىء من حفظه كله .

وكان هذا من سِّر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ .

فجمع الصديق الخيَروكفّ الشرور ، ﷺ وأرضاه ، ولهذا روي عن غير واحدٍ من الأئمة منهم : وكيع ، وابن مهدي ، وقُبيصة عن سفيان الثوري ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ، عن عبد خير ، عن عليٍّ أبي طالب ﷺ أنه قال :

أعظم الناس أجراً في المصحف أبو بكر ، إنَّ أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين .

قال الحافظ ابن كثير : هذا إسناد صحيح [2] . أ . هـ .

---

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن ، رقم (٤٩٨٦) ، وانظر : "الفتح" (٨/ ٦٢٧) .

(٢) انظر : " فضائل القرآن " للحافظ ابن كثير (٥٦ ـ ٥٧) ط . مكتبة ابن تيمية . القاهرة .

(وقد راعى زيد بن ثابت نهاية التثبيت ، فكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة ، وقوله في الحديث : (ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره) لا ينافي هذا ، ولا يعني أنها ليست متواترة ، وإنما المراد أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره ، وكان زيد يحفظها ، وكان كثير من الصحابة يحفظونها كذلك ، لأن زيداً كان يعتمد على الحفظ والكتابة معاً ، فكانت هذه الآية محفوظة عند كثير منهم ، ويشهدون بأنها كتبت ، ولكنها لم توجد مكتوبة إلا عند أبي خزيمة الأنصاري .

أخرج ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : قدم عمر فقال : (من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان) وهذا يدل على أن زيداً كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد من تلقاه سماعاً ، مع كون زيد كان يحفظ ، فكان يفعل ذلك مبالغة من الاحتياط .

وأخرج ابن أبي داود أيضاً من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر وزيد : (اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه) ورجاله ثقات مع انقطاعه .

قال ابن حجر : وكأن المراد بالشاهدين : الحفظ والكتاب .

وقال السخاوي في " جمال القراء " : المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن .

قال أبو شامة : وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ ، لا من مجرد الحفظ ، ولذلك قال في آخر سورة التوبة : (لم أجدها مع غيره) أي لم أجدها مكتوبة مع غيره لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة)[1] .

فكُتِبَ القرآن في عهد النبي ﷺ ، وليس كالتوراة التي لم تكتب في عهد موسى عليه السلام ، بل كتبت بعده بعهود كثيرة ، والذين كتبوها جاءوا بشيءٍ مما تذكروه ، وحرفوا كتاب الله تبارك وتعالى ؛ أما القرآن ، فقد كُتِبَ في عهد النبي ﷺ .

ثم لما تُوفي أبو بكر أخذه عمر عنده في البيت ، فلما توفي عمر أخذته حفصة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وبنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما جميعاً .

ولما خرج حذيفة بن اليمان في جهاده مع المسلمين إلى أرمينيا وأذربيجان ، ووجد المسلمين يختلفون في قراءتهم ؛ وجد هؤلاء يقرؤون بقراءة ، وأولئك بقراءة ، وأخذ الاختلاف بينهم يَدُبُّ ؛ عند ذلك عاد حذيفة رضي الله عنه وأرضاه لعثمان رضي الله عنه وقال : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى .

---

(١) انظر : " الإتقان " (٥٨ / ١) ، و " مباحث في علوم القرآن " لمناع القطان ص (١٢٦ ، ١٢٧) ط. مؤسسة الرسالة .

عند ذلك طلب عثمان ﷺ وأرضاه المصحف من بيت حفصة ، وطلب أيضاً زيد بن ثابت ، وشَكَّل معه لجنةً من الصحابة من القرشيين ؛ عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ وأوصى عثمان ﷺ هذه اللجنة التي شكلها لجمع القرآن بقوله : إذا اختلفتم أنتم وزيد ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قرشي ؛ فإنما نزل بلسانهم .

فنسخوا المصحف على عدة نسخ ، وَوُزِّعتْ هذه النسخ في الأمصار ، وأمر عثمان برد النسخة الأصلية إلى حفصة ، وأمر بإحراق المصاحف الأخرى ، حتى لا تتعدد المصاحف ويحصل الخلاف والتحريف فيما بعد لكتاب الله تعالى .

والنسخ التي أرسل بها عثمان ﷺ إلى كل بلدٍ إسلامي ؛ هي التي سار عليها المسلمون بعد ذلك ، وانقطع الخلاف بحمد الله تبارك وتعالى وفضله وكرمه ، لما كُتِبَت هذه المصاحف ، فراح أحدها إلى الشام ، والآخر إلى بلاد العراق ، ومصحف آخر في بلاد اليمن ، وآخر إلى بلاد ما وراء النهر ، ولا زال موجوداً عندهم يتوارثونه : مصحف عثمان ﷺ وأرضاه ، وقد كتب على جلد الغزال ، لا زالوا يحتفظون به .

هذه هي قصة كتابة القرآن العظيم التي ينبغي على كل مسلم أن يفهمها ، وأن يعيها ، وأن يفتخر بها ، ويفاخر بها الناس ؛ لأن الله ﷻ أكرمه وحفظ له كتابه ، وحفظ له دينه بحفظ القرآن .

والله إن ديننا كُلَّه بشرائعه كلها من أولها إلى آخرها ؛ محفوظٌ بكتاب الله تبارك وتعالى ، فلله ﷻ الحمد والمنة .

إنَّ ما قام به الصحابة الكرام رضوان الله عليهم من جمع القرآن له دور عظيم في حياة المسلمين ، وله أهمية كبرى ، فهو الذي حفظ عليهم دينهم ، وحفظ عليهم شريعتهم ، وحفظ عليهم عِزَّهم ، وحفظ عليهم مجدهم .

أربعة عشر قرناً ونحن ننعم بخير هذا الدين ، وخير هذا الإسلام ، وخير هذا الإيمان ، وإلى قيام الساعة بإذن الله تبارك وتعالى ، وصدق الله القائل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ .

وهذه التوراة والإنجيل أمام أعينكم ، كيف فعل بها الناس ؟! وكيف تناقلوها حتى كتبها من كتبها بعد عيسى وبعد موسى عليهما صلوات الله وسلامه بسنوات وسنوات عديدة عديدة ، كتبها من كتبها منهم على ما تذكروه مما نُقل لهم ، وأغلبُ هذه الكتابات هي من أساليبهم ومن إنشائهم ، ومن ألفاظهم ، وليست من كلام الله تبارك وتعالى ، ولا من كتابه سبحانه وتعالى .

وهذا فضل الله ﷻ علينا أمة الإسلام ، أن أكرمنا وحَفِظَ علينا كتابنا وديننا ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي : لا شك فيه ، (والريبة : قلق النفس واضطرابها ، ثم استعمل في معنى الشك مُطلقاً ، أو مع تهمة ، لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة) [1] .

وصحَّ عن الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما أنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ : (دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة) ولفظ ابن حبان : (فإن الخير طمأنينة وإن الشر ريبة) [2] .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى : (ومعنى هذا الحديث يرجع إلى الوقوف عند الشُّبهات واتِّقائها ، فإن الحلال المحض لا يحصل للمؤمن في قلبه منه ريب ـ والريب : بمعنى القلق والاضطراب ـ بل تسكن إليه النفسُ ، ويطمئن به القلبُ وأما المشتبهات فيحصلُ بها للقلوب القلقُ والاضطراب الموجب للشك .

قال أبو عبد الرحمن العمري الزاهد : إذا كان العبد ورعاً ، ترك ما يَريبه إلى مالا يريبُه .

---

(١) تفسير القاسمي (١ / ٣٣) .

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٨) وقال : حديث حسن صحيح . ورواه ابن حبان (٧٢٢) .

وقال الفُضَيْل : يزعم الناس أن الورع شديد ، وما ورد عليّ أمران إلا أخذت بأشدِّهما ، فدع ما يريبك إلى مالا يريبك . وقال حسَّان بن أبي سِنَان : ما شيءٌ أهون من الورع ، إذا رابك شيء فدعه [1] . وهذا يسهل على مثل حسان رحمه الله .

وقال عمر رضي الله عنه : دعوا الربا والريبة . يعني : ما ارتبتم فيه ، وإن لم تتحققوا أنه ربا) [2] . أ . هـ .

والمراد بالآية : أن هذا الكتاب ـ وهو القرآن ـ لا شكَّ فيه أنه منزَّلٌ من عند الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [3] .

وقال بعضهم : هذا خبر ، ومعناه النهي ، أي : لا ترتابوا فيه .

ومن القرَّاء من يقف على ﴿ لَا رَيۡبَۛ ﴾ ، ثم يبدأ بقوله : ﴿ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ .

---

(١) ذكر البخاري في صحيحه ؛ كتاب البيوع ، باب تفسير المشبَّهات (٣/ ٥٣) قول حسَّان ابن أبي سنان ـ رحمه الله ـ بلفظ : (ما رأيت شيئاً أهون من الورع ، دعْ ما يريبك إلى مالا يريبك) .

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٠) ط . الرسالة . بتصرف .

(٣) السجدة : ١ـ ٢ .

ويدل على الوقوف على (فِيهِ) قوله تعالى في سورة السجدة : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1] .

وأهل الإيمان والتقوى لا ريبة في قلوبهم ولا ارتياب ، فإيمانهم راسخٌ رسوخ الجبال الرواسي ، وأما الريبة والشك ، والقَلَق والاضْطراب ، والتذبذب وعدم الثبات ؛ فهي من صفات المنافقين والكافرين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾[2] .

وقال سبحانه في حق المنافقين : ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ ﴾ [3] .

وقال ﷻ : ﴿ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [4] .

كأن الريبة توقع صاحبها في التردد ، وتوقعه في المهالك ، وتوقعه في الضياع فهو تائه ضائع لا يعرف طريق الخير ولا طريق الصلاح ، أما الذي انتفى إيمانه من الريبة فهو على صراط الله المستقيم ، وهو على نور من ربه ، وهداية من ربه .

---

(١) قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسيره (التحرير والتنوير) الجزء الأول ، صـ (٢٢٧ ، ٢٢٨) ط . الجزائر : وجملة (لا ريب) إن كان الوقوف على قوله : (لا ريب) : تعريضٌ بكل المرتابين فيه من المشركين وأهل الكتاب ، أي أن الارتياب في هذا الكتاب نشأ عن المكابرة ، وأن لا ريب فإنه الكتاب الكامل ، وإن كان الوقوف على (فيه) : كان تعريضاً بأهل الكتاب في تعلقهم بمحرف كتابيهم مع ما فيهما من مثار الريب والشك من الاضطراب الواضح الدال على أنه من صنع الناس ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ . أ .هـ .

(٢) الحجرات : ١٥ .

(٣) النور : ٥٠ .

(٤) التوبة : ٤٥ .

وقال سبحانه في حق الكافرين : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴾ (1) .

وقال جلَّ وعلا : ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ (2) .

إذاً ينبغي عليك أخي المسلم أن تتصف بالصفة الأولى ، صفة الإيمان مع التنزه عن الريبة والشك في دين الله ﷻ ، فإن كان في نفسك شك في آيةٍ من آيات الله ، أو حديثٍ من أحاديث رسول الله ﷺ ، أو شرعٍ من شرائع الله ، فعليك أن تقصد العلماء ليُزيلوا عنك الشك والريبة التي في نفسك ، أما إن سَكَتَّ عن هذه الريبة ، وجاءت عليها ريبة أخرى ، وانضاف إليها شك آخر ، فيُصبح إيمان الإنسان ضعيفاً ، وهذا هو حال المسلمين في هذه الأيام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، خاصةً الذين يعترضون على شرائع الله ، وعلى أحكام الله تبارك وتعالى ، وعلى حدود الله .

لو أنهم نظروا بعين البصيرة ؛ في الأسرار والحكم من هذه التشريعات ، ومن هذه الحدود التي يرونها فظيعةً شديدة قاسية في نظرهم ، أو سألوا ـ إن لم يستطيعوا النظر والتفكر ـ أهلَ العلم والمعرفة والخبرة ؛ لرأوها غايةً في الرحمة ، ولرأوها غايةً في الكرامة والسلامة ، والأمن والإيمان .

---

(1) ق : ٢٤ ـ ٢٥ .

(2) غافر : ٣٤ .

القرآن من عند الله

والقرآن هو كلام الله تعالى ، لا شك في هذا ولا ريب ؛ ورسولنا محمد ﷺ ، لم يأت به من عند نفسه [1] ؛ حاشا وكلا ، ويدل على أن القرآن ليس من عند النبي محمد ﷺ ، بل هو من عند الله رب العالمين ، أمورٌ كثيرة جداً منها :

١ - **اشتماله على آيات العتاب** التي جاءت تعاتب النبي ﷺ ؛ وفيها من الشدة أحياناً الشيءَ الذي يستغربه الإنسان ، فلو كان القرآنُ من عند نبينا محمد ﷺ لما جاء بآياتٍ يُعاتِبُ فيها نفسه ، ويُحاسِبُ نفسه ، ولو كان بواسطة نبينا محمدٍ نقله عن فلان أو علان ، لما نقل عن نفسه العتاب .

كقوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [2] عندما جاءه المنافقون في غزوة تبوك يستأذنونه في القعود ، فأذن لهم النبي ﷺ ، وسمح لهم بأن يتخلفوا ، فنزلت هذه الآيات وفي بدايتها العفو عن النبي ﷺ ، لأنه عليه الصلاة والسلام ما قال هذا الكلام من عند نفسه ، وإنما بعد أن اجتهد ، والمجتهد له أجران إن أصاب ، وأجرٌ إن أخطأ .

---

(١) يزعم بعض المستشرقين أن هذا القرآن جاء به محمد . فمنهم من يقول : جاء به من عند بحيرا الراهب ، ومنهم من يقول : جاء به من عند نفسه .

ولحكمةٍ يريدها الله جل وعلا ؛ جعل نبيه نبياً لا يقرأ ولا يكتب عليه الصلاة والسلام ، مما يدل على أن القرآن ليس من عند نبينا محمد ﷺ ، إنما هو من عند الله ، وليس منقولاً بواسطةِ محمدٍ إنما منقولاً عن الله ﷻ .

(٢) التوبة : ٤٣ .

وفي آيةٍ أخرى عاتب نبيه عليه الصلاة والسلام عتاباً شديداً في غزوة بـدر ، لما ألقى المسلمون القبض على سبعين من الأسرى ، فتشاور النبي عليه الـصلاة والسلام مع أصحابه : ماذا نفعل في الأسرى ؟ هـل نقـتلهم ؟ أو أننـا نفـديهم بأموالهم ثم يعودون إلى أقوامهم ؟.

فقال أبو بكر : بل نفديهم . وقال عمر بن الخطاب : بل نقتلهم .

فمال النبي ﷺ مع قول أبي بكرٍ بالعفو عنهم ، وأخذ الفدية والأموال منهم ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكـن إثـماً ؛ لرحمته عليه الصلاة والسلام ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] . تهديد ووعيد من الله تبارك وتعالى ، ثم بعد ذلك عفا عـن نبيـه في نفس الآيات ، وقال في ختـام هـذه الآيـات : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، جـاء عمر ووجد الرسولَ ﷺ وأبا بكر يبكيان ، فقال لهما عمر رضي الله عنه : لماذا تبكيان ؟ إن كنتم بكيتم على شيء بكيت معكم .

قال عليه الصلاة والسلام : (لو نجا أحدٌ مِنَّا لنجا عمـر) يبكـي عـلى هـذا العتاب الشديد من ربه تبارك وتعالى ؛ فلو كان القرآن من عنـد نبينـا محمـدٍ ﷺ فهل عاتب نفسه بمثل هذا العتاب ، وهل قسى على نفسه بمثل هذه القسوة .

---

(١) الأنفال : ٦٧ .

وقولـه تعـالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾ (١) ، هذا عتابٌ شديدٌ للنبي ﷺ ، لأنه كان يتحدث مع مشركي مكة وكبرائهم وصناديدهم ، فجاءه عبد الله بن أم مكتوم ـ وهو الأعمى الذي أشارت له الآية ـ جاء يسأل الرسول ﷺ ، قال : يا رسول الله أريد أن أسألك في أمور أنتفع بها في ديني ، فغضب النبي ﷺ ، لأنه يريد أن يُبَلِّغَ الرسالة لأولئـك الناس ، لم يغضب إهانةً له ، واحتقاراً له ، لا وإنما يريد أن يُبَلِّغَ الرسـالة لغـيره من صناديد مكة ، فهذا مُسلِمٌ وبإمكانه أن يسأل وأن يتعلم في غير هذا الوقت ، والنبيُّ يريد الآخرين الذين لم يسلموا ، فعاتبه الله بهذا العتاب .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) .

وقولـه تعالى : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾ (٤) .

---

(١) عبس : ١ـ٢ .

(٢) النساء : ١١٣ .

(٣) الشورى : ٥٢ .

(٤) الإسراء : ٨٦ ـ ٨٧ .

٢- **مانَزَل بعد طول انتظار** : حيث تأخر نزول الوحي على النبي ﷺ ، ولا سيما في بعض المواطن الحرجة بالنسبة للنبيِّ ﷺ ؛ ولو كان القرآن من عنده لما حَصَل شيءٌ من ذلك .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ ﴾[1] . الإفك : الكذب والافتراء من الذين تكلموا على زوجته عائشة رضي الله عنها ؛ ولقد مكث رسول الله ﷺ أربعين يوماً ، والمنافقون ومن تأثَّر بكذبهم وافترائهم يتكلمون في عرض النبي ﷺ ، فلو كان القرآن من عند نفسه لأنزل كلاماً من عند نفسه في ذلك الوقت ، يُبَرِّئُ زوجته رضي الله عنها .

وهو الذي قال لها قبل نزول الآيات بقليل : (يا عائشة ، فإنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرِّئُكِ الله ، وإن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه)[2] .

فهو ﷺ لا يعلم الغيب ، ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه عليه الصلاة والسلام ، فأنزل الله تبارك وتعالى الآيات الكاشفات الواضحات ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ ﴾[3] بعد أربعين يوماً .

---

(١) النور : ١١ .

(٢) حديث الإفك بتمامه رواه البخاري في كتاب التفسير (٤٧٥٠) باب : ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا ﴾.

(٣) النور : ١١ .

وبعد أن كان النبي ﷺ يُقَلِّب وجهه في السماء ، وهو متجه إلى بيت المقدس ، ويريد أن يتجه إلى مكة ، ويطلب من الله أن يوجهه إلى مكة ، ومكث سنةً ونصف سنة وهو يريد أن يتجه إلى الكعبة ، وينتظر الإذن من ربه تبارك وتعالى ، حتى نزل قول الله : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[1] ، بعد طول انتظار وبعد مشقةٍ وتعب .

وجاءه ذات يومٍ مشركون في مكة يسألونه عن أصحاب الكهف ، فقال لهم : لا أعلم ، ولكن ائتوني في الغد حتى أعطيكم الجواب . ولم يقل : إن شاء الله ، فلما جاء الغد تأخَّر الوحي عليه ، ولم ينزل القرآن على النبي ﷺ ، وتعدَّدت الأيام ، والرسول ﷺ ينتظر ، حتى تَكَلَّم المشركون وقالوا : إن رب محمدٍ قد قَلَى محمداً ـ أبغضه وكرهه ـ فلم ينزل عليه الوحي ، فاشتد الألم على رسول الله ﷺ ، وهو ينتظر الوحي من الله ﷻ ، حتى يُعطِيَ الجواب لهؤلاء الناس ؛ حتى نزل قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[2] اختبار وامتحان من الله تبارك وتعالى .

---

(١) البقرة : ١٤٤ .

(٢) الضحى : ١ ـ ٥ .

فلو كان القرآن من عند رسول الله محمد ﷺ ، لجاءَهم بالجواب في نفس الوقت ، أو لجاءَهم بالجواب في ا ليوم الثاني ، ولكنه تأخَّر عليه تعليماً لهذه الأمة ، وتربيةً للمسلمين ، وكذلك تأديباً لأعداءِ الله من الكافرين .

وكذلك قوله ﷻ : ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ لما نزلت هذه الآية اشتد على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، قالوا : يا رسول الله ، هذه الآية لا نُطيقها ، يُحاسِبُنا الله على ما في أنفسنا ، حتى ما في داخل قلوبنا سوف يحاسبنا الله عليه ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾[1] .

فقال عليه الصلاة والسلام : لا تكونوا كمثل اليهود والنصارى ، قالوا : سمعنا وعصينا ، ولكن قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

فاشتد عليهم الأمر . حتى نزل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[2] ونزل قوله ﷻ : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[3] وَخفَّف سبحانه عن هذه الأمة ورحمها .

٣- وهناك آيات كثيرة تدل على أن القرآن ليس من كلام رسول الله محمد ، وإنما هو من كلام الله تبارك وتعالى .

---

(١) البقرة : ٢٨٤ .

(٢) البقرة : ٢٨٦ .

(٣) التغابن : ١٦ .

ومنها قوله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[1] ، وقوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾[2] ، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ ﴾[3] .

وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾[4] .

كل هذه الآيات وغيرها كثير وكثير إنما تدل على أن هذا القرآن هو كلام الله لا ريب فيه ، ليس من كلام محمدٍ ولا من كلام البشر .

٤ - ثم إن إعجاز القرآن الكريم في مختلف المجالات أقوى دليل على أنه من عند الله تبارك وتعالى .

---

(١) النساء : ١١٣ .

(٢) الشورى : ٥٢ .

(٣) الإسراء : ٨٦ ـ ٨٧ .

(٤) التوبة : ٨٤ .

﴿ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾

قوله تعالى : ﴿ هُدًى ﴾ . أي : نورٌ وهدايةٌ من الضلال للمتقين ؛ لا لغيرهم .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : (قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ صرَّح في هذه الآية بأن هذا القرآن هدى للمتقين ، ويفهم من مفهوم الآية ـ أعني مفهوم المخالفة المعروف بدليل الخطاب ـ أن غير المتَّقين ليس هذا القرآن هدى لهم ، وصرَّح بهذا المفهوم في آيات أخر كقوله : ﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾[2] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾[3] .

---

(١) فصلت : ٤٤ .

(٢) الإسراء : ٨٢ .

(٣) التوبة : ١٢٤ ـ ١٢٥ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾[١] .

ومعلوم أن المراد بالهُدى في هذه الآية : الهدى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق إلى دين الحق ، لا الهدى العام ، الذي هو إيضاح الحق)[٢] .

وقال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله : (والهدى في هذا الموضع مصدرٌ من قولك : هديتُ فلاناً الطريق ـ إذا أرشدتَه إليه ، ودللتَه عليه ، وبيَّنْته له ـ أهديه هُدىً وهداية . فإن قال لنا قائل : أوَ ما كتاب الله نوراً إلا للمتَّقين ، ولا رشاداً إلا للمؤمنين ؟ قيل : ذلك كما وصفه الله ربنا ﷻ ، ولو كان نوراً لغير المتقين ، ورشاداً لغير المؤمنين ، لم يخصِّص الله ﷻ المتَّقين بأنه لهم هدىً ، بل كان يَعُمُّ به جميعَ المنذَرين ، ولكنه هدىً للمتقين ، وشفاءٌ لما في صدور المؤمنين ، ووَقْرٌ في آذان المكذِّبين ، وعمىً لأبصارِ الجاحدين ، وحجةٌ لله بالغةٌ على الكافرين ، فالمؤمن به مُهْتدٍ ، والكافرُ به محجوجٌ)[٣] .

---

(١) المائدة : ٦٨ .

(٢) أضواء البيان (١/ ٤٥) ط . عالم الكتب .

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٣٤) ط . دار هجر .

أنواع الهداية :

وأنواع الهداية المذكورة في كتاب الله تعالى أربعة ؛ وهي :

١ - **الهداية العامة المشتركة بين جميع المخلوقات** ، قال تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[١] . وقوله سبحانه : ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[٢] .

٢ - **هداية دلالة وإرشاد** : وهذه عامة لجميع البشر مؤمنهم وكافرهم ؛ فقد أرشد اللهُ عباده كلهم للطريق المستقيم ، ودلَّهم عليه وأمرهم بسلوكه ؛ ونهاهم عن ضدِّ ذلك .

وكذلك فإنها تكون من الله ، ومن العباد بأن يُرشد بعضهم بعضاً إلى الصواب والطاعة ، وهي المرادة بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[٤] ، أي : بيَّنا له الطريقين الواضحين : طريق الخير وطريق الشر .

---

(١) الأعلى : ١ ـ ٣ .

(٢) طه : ٥٠ .

(٣) الشورى : ٥٢ .

(٤) البلد : ١٠ .

وهذه الهداية أوجبها الله سبحانه على نفسه رحمة بعبادة ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ (١) .

وبهذه الهداية يظهر اختيار العاقل المكلَّف ؛ فإما أن يختار ويستحبَّ الإيمان ، وإما أن يختار ويستحبَّ العمى على الهدى . قال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾(٢) ، أي : بينَّا لهم وأرشدناهم ودَلَلناهم .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٣) .

٣- هداية توفيق وإلهام : ولا تكون إلا من الله وحده ، ولأهل تقواه وطاعته ورضاه ، فهي خاصَّةٌ لا عامة ؛ وهي التي نطلبها منه سبحانه كل يوم مرات ومرات في قولنا : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي : وفقنا للهداية وثبِّتنا عليها ، وهي المرادة بقوله سبحانه : ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (٤) . وقوله : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾(٥) . وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(٦) . وقوله ﷻ : ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ

---

(١) الليل : ١٢ .

(٢) فصلت : ١٧ .

(٣) الإنسان : ٣ .

(٤) البقرة : ٢٧٢ .

(٥) الزمر : ٣٧ .

(٦) القصص : ٥٦ .

عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[1] .

وقوله ﷻ : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[2] .

نسأل الله أن يجعلنا من أهلِ هدايته ، وأن يخصنا بالمزيد من توفيقه ورعايته . آمـيـن .

٤ – الهداية إلى الجنة : وهي غاية الهداية ومنتهاها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[3] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4] .

---

(١) الكهف : ١٧ .

(٢) الرعد : ٣٣ .

(٣) يونس : ٩ .

(٤) الأعراف : ٤٣ .

التقوى في اللغة والشرع

وقولـه : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ، **التقوى لغةً** : من الإتِّقاء ، وأصله مـن الحـاجز بـين الشيئين ، ومنه يقالاتقىَّ بترُ سه أي : جعله حاجزاً بينه وبين عدِّوه .

والتقـوى شرعـاً : أن تجعـل بينـك وبـين عـذاب الله وقايـة باتِّبـاع أوامـره واجتناب نواهيه ، والتقوى محلها القلب لما جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال : (**التقوى ها هنا**) ويشير إلى صـدره ثـلاث مـرات . . .) [١] ؛ وتظهـر آثارهـا باستقامة الجوارح على طاعة الله تعالى .

وقد سُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن معناها فقـال : (الخـوف مـن الجليـل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل) .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾[٢] قال : (أن يُطاع فلا يُعصى ، ويذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يكفر) .

وسأل عمـرُ بـنُ الخطـاب رضي الله عنه أُبيَّ بـنَ كعـب رضي الله عنه عـن التقـوى ؟ فقـال لـه أُبي رضي الله عنه : (أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟) فقال : بلى . قال : (فما عملت؟) قال : شمَّرت واجتهدت [٣] . قال : (**فذلك التقوى**) [٤] .

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) آل عمران : ١٠٢ .

(٣) أي : شمَّرتُ ثيابي ، واجتهدتُ أن لا يُصيبَ الشوك قدمي وبدني .

(٤) أي : أن تشمر في طاعة الله ، وتجتهد أن لا تقع في معصية الله .

وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال :

خَلِّ الذنوبَ صغيرَها	وكبيرَها ذاك التُّقى
واصْنَع كَماشٍ فوقَ أر	ضِ الشَّوكِ يحذرُ ما يَرى
لا تحقرنَّ صغيرةً	إنَّ الجبالَ مِن الحصى

فلذلك المتقي مثله كمثل الذي يسير على الشوك ، الهمُّ في قلبه والاضطراب في نفسه ، والقلق والخوف من أن يقع في معصية الله تبارك وتعالى .

فالمتقي لله ﷻ لا يأخذ هذه الدنيا هكذا بطمأنينة وراحة وفرح ، وهو يعرف أنه في دار اختبار وابتلاء ، بل هو متقٍ خائف من الوقوع في الذنوب والمعاصي يسأل عن كل أمر ؛ إذا جاءه المال من أين هذا المال ؟ كيف جاء هذا المال ؟ كما كان حال أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان لأبي بكر غلامٌ يُخرِجُ لـه الخَراجَ ، وكان أبو بكرٍ يأكلُ من خَراجِهِ ، فجاءَ يوماً بشيءٍ ، فأَكَلَ منه أبو بكرٍ فقال لـه الغلامُ : أتدري ما هذا ؟ فقال أبو بكرٍ : وما هو ؟ قال : كنتُ تَكهَّنتُ لإنسان في الجاهليةِ ، وما أُحسِنُ الكِهانَةَ ، إلا أنَّي خَدَعْتُهُ ، فَلقِيَني فأعطاني بذلك ، فهذا الذي أكلت منه ، فأدْخَلَ أبو بكرٍ يَدَه ، فقاء كلَّ شيءٍ في بطنه) [1] .

---

(١) رواه البخاري (٣٨٤٢) .

هذه هي التقوى ، أن يكون المسلم حريصاً شديد التنبه ، شديد الحساسية ؛ يسأل عن كل أمر من الأمور ؛ هل حرام أم حلال ؟؛ ويهتم بجانب المال ؛ من أين جاء ؟ وكيف جاء ؟ حتى يقي نفسه سوء العذاب يوم القيامة .

وفي سنن ابن ماجَهْ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قيل لرسول الله ﷺ : أي الناس أفضل ؟ قال : (كل مخموم القلب ، صدوق اللسان) قالوا : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : (هو التقيُّ النقيُّ ، لا إثمَ فيه ولا بغيَ ولا غلَّ ولا حَسَد)[1] . وقد ذكر الله بعض أوصاف أهل التقوى في قوله : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[2] .

وللتقوى مراتب :

المرتبة الأولى : اتِّقاء الخلود في النار باعتقاد كلمة التوحيد بالقلب ، والإقرار بها باللسان ، وهي كلمة التقوى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ ﴾[3] .

---

(١) سنن ابن ماجه (٤٢١٦) ، وقال البوصيري في (مصباح الزجاجة) (٣/ ٢٩٩) رقم (١٥٠٤) : هذا إسناد صحيح رواه البيهقي في سننه من هذا الوجه . أ .هـ .

(٢) البقرة : ١٧٧ .

(٣) الفتح : ٢٦ .

المرتبة الثانية : اتقاء غضب الجبار بفعل الفرائض واجتناب المحرمات ، وأهم ما في هذه المرتبه :أداء حقوق الناس وكفُّ الأذى عنهم ، وحفظ حرماتهم .

المرتبة الثالثة : اتِّقاء الشبهات بالورع والمسابقة إلى الخيرات ، كما في حديث النُّعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال : (الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ ، وبينهما مُشبَّهات ، لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتَّقى المُشبَّهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومَنْ وقع في الشُبُهات كراعٍ يرعى حول الحِمى يُوشِكُ أن يواقعه ، ألا وإنَّ لكل مَلِكٍ حمى ألا وإنَّ حمى الله في أرضه محارمه ، ألا وإنَّ في الجسدِ مُضغةً إذا صَلَحت صلَحَ الجسدُ كله ، وإذا فَسدَت فسدَ الجسد كله ، ألا وهي القلب) [1] . وفي رواية : (ومن اجترأ على ما يشكُّ فيه من الإثم ، أوشك أن يُواقِعَ ما استبان ، والمعاصي حمى الله ، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه) [2] .

وفي رواية : (ومن يخالط الريبة يوشك أن يَجسُرَ) [3] . أي : يقرُب أن يقع في الحرامِ المحض .

(١) رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) .

(٢) رواه البخاري (٢٠٥١) .

(٣) رواها أبو داود (٣٣٢٩) في البيوع ، والنسائي (٥٧١٠) في الأشربة ، وابن حبان (٧٢١) في الرقائق .

المرتبة الرابعة : اتِّقاء مالا بأس به حذراً مما به بأس ؛ ففي حديث عبد الله ابن يزيد ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنه قال : (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس) [1] .

وقال الحسن البصري : (ما زالت التقوى بالمتَّقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام) .

وأعظم زاد هو زاد التقوى ؛ قال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [2] .

وأمرنا بالتعاون عليها ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [3] .

وأمرنا بالتناجي بها ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [4] .

والله تعالى هو أهلها ؛ كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [5] .

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥١) ، وابن ماجه (٤٢١٥) ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

(٢) البقرة : ١٩٧ .

(٣) المائدة : ٢ .

(٤) المجادلة : ٩ .

(٥) المدثر : ٥٦ .

ولباسها خير لباس ؛ قال تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (1) .

والعاقبة لها ولأهلها ؛ قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(2) . وقال جل وعلا :﴿ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(3) .

وهي وصية الله للأوَّلين والآخرين ؛ قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾ (4) .

وهي أساسُ قبول أعمال العباد ، وما يرفع إلى الله سبحانه منها ؛ قال تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ (5) .

---

(1) الأعراف : ٢٦ .

(2) طه : ١٣٢ .

(3) هود : ٤٩ .

(4) النساء : ١٣١ .

(5) الحج : ٣٧ .

بعض ثمرات التقوى :

تحدثت في السطور السابقة عن تعريف التقوى لغة وشرعاً ، ووضحت مراتبها وبعض الأمور التي تتعلق بها ؛ وأتحدث الآن عن جزاء من اتصف بالتقوى ، وبعض الثمرات والفوائد التي يجنيها من تخلق بها ، وعمل بها ، وسار عليها ؛ حتى تتشوق نفوسنا لتلك المرتبة ، وتزداد حرصاً على تنفيذها وتطبيقها .

أما جزاءات التقوى وثمراتها فهي كثيرة وعظيمة ، ومبثوثة في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ ، وإننا نذكر طرفاً منها فقط ـ إيثاراً للاختصار ـ حتى نعرف قدرها العظيم ، فنأخذ أنفسنا بالجادة في سلوك طريقها ، والاتصاف بها .

وأول جزاء ، بل وأعظم جزاءٍ يناله المتقي لربه ﷻ ، هو محبة الله ﷻ لهذا المتقي ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

ولو كان هذا الجزاء هو الوحيد لمن اتقى الله ﷻ لكان أعظم جزاء ، وأكبر جزاء ، وأكرم جزاء ، أن يحبك الله تبارك وتعالى .

وقال عز من قائل : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2] وكررها الله تبارك وتعالى في آياتٍ أخرى في كتابه سبحانه وتعالى .

---

(١) التوبة : ٤ .

(٢) آل عمران : ٧٦ .

والمحبة مقامها كبير وكريم ، ففي الحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري ، والذي يقول فيه رب العزة جل وعلا : (. . . وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبّ إليَّ مما افترضتُ عليه ، ولا يزالُ عبدي يتقرب إليَّ بالنوافلِ حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعه الذي يسمعُ به ، وبصَرهُ الذي يُبصر به ، ويده التي يبطشُ بها ، ورِجْلَهُ التي يمشي بها ، ولئِن سألني لأُعطِيَنَّه ، ولئِن استعاذني لأُعِيذَنَّه)[1] .

وعند الترمذي من حديث أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (كان من دعاء داود يقول : اللهم إني أسألك حبك ، وحب مَن يُحِبُّك ، وحب العمل الذي يبلغني حبك ، اللهم اجعل حبك أَحبَّ إليَّ من نفسي وأهلي ومن الماء البارد) ، قال : وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود يُحدِّث عنه قال : (كان أعبد البشر)[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأَحْبِبْهُ ، فَيُحِبُّهُ جبريل ، فينادي جبريلُ في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيُحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أُبغض فلاناً فأبغضه . قال : فيبغِضُهُ جبريل . ثم ينادي في أهلِ السماء : إن الله يُبغض فلاناً فأبغضوه . قال :

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً .

(٢) رواه الترمذي (٣٧٢٠) كتاب الدعوات ؛ وقال : حديث حسن غريب .

فيبغضونه . ثم توضَعُ له البغضاءُ في الأرض) [1] .

هذا المكسب العظيم من التقوى هو أعظم المكاسب ، وأكرمها ، وأَجلُّها ، وكل ما يتمناه المسلم العاقل هو محبة الله تبارك وتعالى ؛ وأعظم بها من محبة .

ثم بعد ذلك من جزاءات التقوى أيضاً : إزالة الهم وجلب الرزق ، يعني لا تكتفي التقوى بأن تزيل همك وفقرك وكربك ، بل وتعطيك جائزةً على ذلك ، بل وتعطيك نفحةً من نفحات الله ، بل وتعطيك فرجاً ورزقاً وخيراً .

لا يكفي أنها تكفر الذنوب ؛ بل وتضاعف الأجور ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ هل اكتفى بأن أخرجه من مخرجه ذلك ، ومن هَمِّه ذلك ، لا ، ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ ييسر له أمره ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ سبب نزول هذه الآية أن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله إن ابني أسره العدو ، وجزعت أمه ، فما تأمرني ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (اتق الله واصبر ، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله) فعاد إلى بيته ، وقال لامرأته : إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقالت : نِعْمَ ما أمرنا به ؛ فجعلا يقولان ؛ فغفل العدو عن ابنه ، فساق غنمهم ، وجاء بها إلى أبيه ؛ وهي أربعة آلاف شاة ؛ فنزلت الآية ، وجعل النبي ﷺ تلك الأغنام له .

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩) ، ومسلم (٢٦٣٧) واللفظ له ، وأحمد في المسند (٨٥٠٠) .

وفي رواية : أنه جاء وقد أصاب إبلاً من العدوّ وكان فقيراً ؛ قال الكلبي : أصاب خمسين بعيراً .

وفي رواية : فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم ، ومرّ في طريقه بسَرْح لهم فاستاقه . وقال مقاتل : أصاب غنماً ومتاعاً ، فسأل النبيَّ ﷺ : أيحلُّ لي أن آكل مما أتى به ابني ؟ قال : (نعم) ، ونزلت : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[1] .

والتقوى ترفع صاحبها فتجعله من أهل الكرامة عند الله ﷻ ، فبقدر تقواه بقدر ما يكون كريماً عند الله ﷻ ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[2] ، أرأيتم مكانة التقوى عند الله تبارك وتعالى ، وجزاءها ، وأعظم به من جزاء .

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً : (إنَّ الله يقول يوم القيامة : أمرتكم فضيعتم ما عَهِدتُ إليكم فيه ، ورفعتم أنسابكم ، فاليوم أرفع نسبي ، وأضعُ أنسابكم ، أين المتقون ، أين المتقون ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾)[3] .

---

(١) (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (١٨ / ١٠٦) في تفسير سورة الطلاق .

(٢) الحجرات : ١٣ .

(٣) رواه الحاكم ، والبيهقي في (شعب الإيمان) ، وضعفه الألباني في (ضعيف الجامع) برقم : (١٧٥٤) .

هذا هو نسب الله تبارك وتعالى ؛ التقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ ؛ لا بالأجناس ، ولا بالألوان ، ولا بالأطوال ، ولا بالأجسام ، ولا بالجمال ، ولا بالمال ، ولا بالحسب ، وإنما بالتقوى ، والتقوى محلها القلب ، وهي الخوف من الله تبارك وتعالى .

ومن جزاءات التقوى : أن المتقين هم أولياء الله تبارك وتعالى ، أنك إذا اتقيت الله ﷻ أصبحت ولياً لله .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة ، ومن هم يارب ؟ ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[1] .

وقال ﷻ : ﴿ وَإِنَّ الظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[2] إذا اتقيت الله ﷻ فأنت الرابح ، وأنت الفائز في الدنيا وفي الآخرة .

ومن جزاء المتقين أنهم فائزون بمعية الله تبارك وتعالى ، أنَّ من اتقى الله كان الله معه ، معه بهدايته وبتوفيقه وبنصرته ، ومن كان الله معه فمن ذا الذي يغلبه ؟! ، ومن الذي يقهره ؟! لا أحد ، لأن الله معه سبحانه وتعالى ، كما كان مع نبيه موسى عندما ضرب البحر ، ومع نبيه محمد ﷺ في الغار ؛ عندما قال للصدِّيق : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾[3] .

---

(١) يونس : ٦٢ ـ ٦٣ .

(٢) الجاثية : ١٩ .

(٣) التوبة : ٤٠ .

قال تبارك وتعالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[1] ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾[2] .

إذا اتقيت الله تبارك وتعالى كان الله ﷻ معك ، وإذا كان الله ﷻ معك نصرك ، وأَخرجك من همك ومن غمك ، ورزقك رزقاً مباركاً .

والمتقون هم المقبولة أعمالهم عند الله تبارك وتعالى ؛ فمن جزاءات التقوى أن أعمال المتقين مقبولة عند الله ﷻ .

قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[3] .

والتقوى تجعل لصاحبها فرقاناً بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، يعني تجعل له بصيرة ؛ لا بصر بعينه وإنما بصيرة بقلبه ، يُفرِّق بها بين الخطأ والصواب ، وبين الخير والشر ، وبين الحق والباطل .

أما الذي أعمى الله بصيرته ، فهو لا يدري العمل الذي يعمله ، أهو خير أم شر ؟ والعياذ بالله ﷻ ؛ وهذا حال كثير من الغافلين والعياذ بالله ﷻ .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ﴾[4] .

---

(١) البقرة : ١٩٤ .

(٢) النحل : ١٢٨ .

(٣) المائدة : ٢٧ .

(٤) الأنفال : ٢٩ .

ومن جزاءات التقوى أنها تصلح أعمال الإنسان الدنيوية والأخروية ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1] .

ومن جزاءات التقوى أن الخاتمة لها ، وأن العاقبة لها ، وأن النهاية لها ، حتى ولو رأيت المتقين على ضعفٍ ، وعلى هزيمةٍ ، وعلى خوفٍ ، فإن النهاية لهم ، وإن العاقبةَ لهم ، وإن الخاتمة لهم ، ليس المهم أن ينتصر الإنسان في أول الأمر ، ولا في وسطه ، ولكن المهم أن يكون منتصراً في آخره ، فالمتقي لله ﷻ هو المنتصر ، وهو الفائز في نهاية المطاف .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2] .

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3] .

والجزاء المقابل للتقوى في الآخرة هو الجنة ، قال تبارك وتعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾[5] .

---

(١) الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١ .

(٢) القصص : ٨٣ .

(٣) هود : ٤٩ .

(٤) آل عمران : ١٣٣ .

(٥) القمر : ٥٤ ـ ٥٥ .

وقال : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[1] .

وقال : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴾[2] .

وقال : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾[3] .

وقال : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[4] .

فهل بعد هذه الجزاءات والعطاءات العظيمة من محبة الله ، ومن تفريج للكربات ، ومن نصر ، ومن رزقٍ ، ومن خيرٍ ، ومن معيّةٍ لله ، ومن ولايةٍ لله ، ومن فوزٍ وحسن عاقبة ، ومن جنةٍ عرضها السماوات والأرض . . . إلخ ؛ هل بعد ذلك يُقَصِّر مُقَصِّرٌ عن أن يلحق بركب المتقين ؛ فهل يوجد عاقل يسمع بكل هذه الآيات ، وهذه الأحاديث فلا يأخذ على نفسه بأن يكون معهم ، وأن يكون على طريقهم وأخلاقهم ؛ حتى ينجيه الله تبارك وتعالى معهم .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا جميعاً من المتقين .

---

(١) الحجر : ٤٥ .

(٢) الطور : ١٧ .

(٣) النبأ : ٣١ـ ٣٤ .

(٤) ق : ٣١ـ ٣٥ .

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾

الإيمان في اللغة والشرع

الإيمان في اللغة : التصديق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [١] .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : (ومعنى الإيمان عند العرب : التصديق ، فيُدعى المُصدِّقُ بالشيء قولاً مؤمناً به ، ويُدعى المصدِّق قوله بفعله مؤمناً ، ومن ذلك قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ يعني : وما أنت بمصدِّقٍ لنا في قولنا . وقد تَدخُل الخشيةُ لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل) [٢] .

وقال ابن كثير رحمه الله : (أما الإيمان في اللغة : فيطلق على التصديق المحض ، وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣] ، وكما قال إخوة يوسف لأبيهم : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ

---

(١) يوسف : ١٧ .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٤١) .

(٣) التوبة : ٦١ .

﴿ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ ، وكذلك إذا استعمل مقروناً مع الأعمال ؛ كقوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾)[1] .

والإيمان في الشرع : تصديق بالجَنَان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان .

فمن أخلَّ بالتصديق فهو منافق ، ومن أخل بالإقرار فهو كافر ، ومن أخلَّ بالعمل فهو فاسق .

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله : (والإيمان كلمةٌ جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل . فإذ كان ذلك كذلك ، **فالذي هو أولى بتأويل الآية وأشبهُ بصفة القوم** أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً)[2] .

وقال ابن كثير رحمه الله : (**فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً** . هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة ، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعاً : أن الإيمان قولٌ وعملٌ ، يزيدُ وينقص)[3] .

والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأهله فيه متفاوتون ؛ فأفضلهم أولو العزم من الرسل ، وأدناهم المُخلِّطون من أهل التوحيد ، وبين هؤلاء وأولئك درجاتٌ ورتب لا يعلم حصرها إلا علام الغيوب .

---

(١) سورة العصر : ٣ ، " تفسير ابن كثير " (١/ ١٨٣) ط . ابن حزم .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٤١) .

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٣) ط . ابن حزم .

وأركان الإيمان ستة وهي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . كما ورد ذلك في حديث جبريل عليه السلام .

والمؤمن مطالبٌ بالإيمان ـ بمعنى زيادته والثبات عليه ـ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [1] .

وقال أيضاً : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [2] . وقال سبحانه أيضاً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ . . . ﴾ [3] .

الإيمان بالغيب

وقوله : ﴿ . . بِٱلْغَيْبِ ﴾ : **الغيب** هو كل شيء مُسْتَتِرٌ عنك ، لا يمكنك رؤيته والاطلاع عليه .

وقوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ أي : (يصدِّقون بما غاب عن الحسِّ والعقل غيبة كاملة ، بحيث لا يُدرك بواحد منهما ابتداءً بطريق البداهة ، وهو

---

(١) الأنفال : ٢ .

(٢) الحجرات : ١٥ .

(٣) النساء : ١٣٦ .

قسمان : قسم لا دليل عليه ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ . . . ﴾[1] . ومنه القَدَر الذي استأثر الله بعلمه ، وقسم قامت عليه البراهين : كالصانع وصفاته تبارك وتعالى ، وكالنبوَّات وما يتعلَّق بها من الأحكام والشرائع ، واليوم الآخر وأحواله من البعث والنشر ، والحساب والجزاء وهو المراد ههُنا)[2] .

وقال أبو العالية ، وقتادة بن دعامة في قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ قالا : يؤمنون بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وجنته وناره ولقائه ، ويؤمنون بالحياة بعد الموت ، وبالبعث ، فهذا غيبٌ كله .

وعن ابن عباس ، وابن مسعود ، وناس من أصحاب النبي ﷺ ، ورضوان الله عليهم جميعاً أنهم قالوا : الغيب ما غاب عن العباد من أمر بالجنة وأمر بالنار ، وما ذُكر في القرآن .

وقال زيد بن أسلم : ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ : بالقَدَر .

وقال عطاء بن أبي رباح : من آمن بالله فقد آمن بالغيب .

---

(١) الأنعام : ٥٩ .

(٢) نور الإيمان في تفسير القرآن (الفاتحة والبقرة) ، لمحمد مصطفى أبي العلا . ص (٤٣ ، ٤٤) ط . دار البشائر الإسلامية .

وقال الحافظ بن كثير رحمه الله في هذه الأقوال وما شابهها : (فكل هذه مُتقاربة في معنىً واحد ؛ لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به)[1] .

فكل ما ذكر من أقوال سابقة وغيرها مما يخفى علينا بوجهٍ من الوجوه ؛ فهو غيب ، وهو مرادٌ من هذه الآية ؛ كل هذه الأشياء : القرآن ، والوحي ، والله ﷻ ، والإيمان الجنة والنار ، وبالرسول ﷺ ؛ كلها داخلة في الإيمان بالغيب .

ويؤكد ذلك حديث النبي ﷺ لما جاءه جبريل عليه السلام فسأله عن الإسلام ؛ ثم سأله عن الإيمان ، ثم سأله عن الإحسان ؛ والإحسان مرتبة أعلى من الإيمان ، والإيمان مرتبة أعلى من الإسلام ؛ نسأل الله ﷻ أن يبلغنا هذه المراتب العاليات بفضله وكرمه ، إنه على كل شيءٍ قدير .

فسأله جبريل ، قال : ما الإيمان ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى)[2] .

هذا هو الإيمان ، وهو مشتمل لكل هذه الأشياء التي ذكرها العلماء ، يدخل فيه القرآن ، ويدخل فيه الله تبارك وتعالى ، والملائكة ، فكل ذلك من الغيب الذي يثيبنا الله تبارك وتعالى عليه .

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٤) .

(٢) رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ولكن الله ﷻ لم يجعل هذا الغيب غيباً مطلقاً ، وإنما أقام عليه الحجج والبراهين التي تدل على وجوده سبحانه وتعالى ، فلم يقل الله لك : آمن بالله ﷻ ، ثم بعد ذلك لم تجد آثاراً تدل على وجوده ، وآيات وبراهين مقنعة ؛ لا ، بل أوجد من البراهين الشيء الكثير .

وفي كل شيءٍ له آية تدل على أنه واحد

ومن الإيمان بالغيب ؛ الإيمان بنبينا محمد ﷺ ؛ ففي حديث أبي جمعة الأنصاري ﷺ أنه قال : تغدَّينا مع رسول الله ﷺ ومَعنَا أبو عبيدة بن الجراح ، قال : فقال : يا رسول الله ! هل أحدٌ خيرٌ مِنَّا ؟ أسلمنا معك ، وجاهدنا معك ، قال : (نعم ، قومٌ يكونون من بعدكم يُؤمنون بي ولم يروني) .

وفي رواية : أن أبا جُمعة الأنصاري ﷺ قال : قلنا : يارسول الله ! هل أحدٌ خيرٌ منا ؟ قال : (قومٌ يجيئون من بعدكم ، يجدون كتاباً بين لوحين ، يؤمنون به ويصدِّقون ، هم خير منكم)[1] .

وفي رواية : أنّ أبا جمعة الأنصاري ﷺ قال : كنَّا مع رسول الله ﷺ : ومعنا معاذ بن جبل عاشِر عَشرة ، فقلنا : يا رسول الله ! هل من أحدٍ أعظم منا أجراً ؟ آمنَّا بالله واتَّبعناك ؟! قال : (ومايمنعكم من ذاك ، ورسولُ الله بين أظهركم ،

(١) رواه أحمد (١٦٩٧٦) ، والطبراني في الكبير (٣٥٣٧ ، ٣٥٤١) ، والحاكم (٤/ ٨٥) . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

يأتيكم بالوحي من السماء ؟ بل قوم يأتون من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين ، فيؤمنون به ويعملون بما فيه ، أولئك أعظم منكم أجراً)[1] .

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ زار المقابر ذات مرَّة ، وسلَّم على أهلها ، ثم قال : (وددتُ لو أنني لقيتُ إخواني) فقال أصحابُ النبي ﷺ : أوليس نحن إخوانك ؟ قال : (أنتم أصحابي ، ولكن إخواني : الذين آمنوا بي ولم يروني)[2] .

من صفات أهل الإيمان

ذكر الله ﷻ صفات المؤمنين في آياتٍ كثيرة في القرآن العظيم ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[3] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[4] .

---

(١) انظر (مسند أحمد) (٢٨/ ١٨٢ ـ ١٨٥) .

(٢) رواه أحمد (١٢٥٧٩) من حديث أنسٍ ﷺ ، وقال محققو المسند : حسن لغيره .

(٣) الأنفال : ٢ .

(٤) الحجرات : ١٥ .

وقال أيضاً : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[١] .

والحديث عن صفات المؤمنين حديث طويل ؛ غير أن اللبيب الأريب تكفيه الإشارة .

والإيمان مرتبط ارتباطاً عظيماً بأخلاق المسلم ؛ بمعاملة المسلم مع إخوانه المسلمين ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٢] .

إذاً هناك علاقة بين المعاملة بينك وبين أخيك المسلم وبين الإيمان ؛ ويؤكد ذلك أيضاً ؛ قوله عليه الصلاة والسلام : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لأهله)[٣] .

---

(١) المؤمنون : ١ ـ ١١ .

(٢) رواه البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه الترمذي (١١٦٢) في الرضاع ، وقال : حديث حسن صحيح . وهو عند أبي داود (٤٦٨٢) في السنة .

والإيمان في القلب ، ومع ذلك ربطه الله تبارك وتعالى بحسن الخلق (فأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) فما أحرانا أن نتخلق بأخلاق الإسلام ؛ حتى يزداد إيماننا بالله تبارك وتعالى ، وكتبه ، ورسله .

وقد ذكرنا قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[1] ، هذه حقيقة الإيمان ، إذا ذكر الله وجلت القلوب ، فإذا وجل قلب المؤمن عند سماع كلام الله ﷻ فقد اتصف بحقيقة الإيمان ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ وتصديقاً ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

وقال عليه الصلاة والسلام ذات يومٍ لحارثة : (كيف أصبحت يا حارثة ؟) قال : أصبحت مؤمناً حقاً . قال : (إن لكل شيءٍ حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟) قال : عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني بأهل الجنة يتنعمون فيها ، وكأني بأهل النار في النار يعذبون . فقال له عليه الصلاة والسلام : (أصبت فالزم ، مؤمن نور الله قلبه)[2] .

---

(١) الأنفال : ٢ ـ ٤ .

(٢) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٩٠) ط. دار الفكر : رواه البزار ، وفيه يوسف بن عطيه ؛ لا يحتج به .

وقوله : (فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري) أي : بالصيام والقيام ، وقوله : (عزفت نفسي عن الدنيا) النفس ؛ وليس الظاهر كما هو حال بعض الناس فتجده في ظاهره عازفاً ، وفي قلبه متعلقاً بها ، شغوفاً بها ، محباً لها ، فليس هذا بزهد ، وليس هذا بإهمالٍ لهذه الحياة الدنيا ، بل الزهد أن تكون في قلبك ليست لها قيمة ، ليس لها وزن ، ليس لها تعلق .

هذه حقيقة الإيمان ، أن تعرف حقيقة الدنيا فتعزف نفسك عنها ، أن تعرف حقيقة الآخرة فتتقرب منها ، أن تعرف حقيقة كلام الله ﷻ فيخشع قلبك عند سماع كتاب الله تبارك وتعالى .

وللإيمان كمال واستكمال ؛ فقد تقدم ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ عن النبي ﷺ أنه قال : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم)[1] .

إذا أردت كمال الإيمان ، وهنيئاً لك إذا بلغت كمال الإيمان فلتكن حسن الخلق ؛ وليس هناك فصل بين الإيمان والخلق ، فلا يظن ظان أنه مؤمن إيماناً قوياً ، وأنه صحيح العقيدة كاملها ، وأخلاقه سيئة في تعامله مع والديه ، ومع أقاربه ، ومع جيرانه ، ومع أصحابه ، ومع الناس ؛ فإن سوء خلقه دلالة على سوء عقيدته ، وعلى سوء إيمانه والعياذ بالله ﷻ .

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٢) في الرضاع ، وقال : حديث حسن صحيح . وهو عند أبي داود (٤٦٨٢) في السنة .

وعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (من أَحبَّ لله ، وأبغَضَ لله ، وأعطى لله ، ومنعَ لله ، فقد استكمل الإيمان) [1] .

إذا كان الحب ليس حباً للدنيا ، وليس حباً لشهواتها ، ورغباتها وإنما حباً في الله وكرهاً لله ، وعطاءً لله ، ومنعاً لله ، فقد استكمل الإيمان .

وروى أحمد بسندٍ حسن عن أبي هريرة ﷺ قال : قال عليه الصلاة والسلام أيضاً : لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وإن كان صادقاً) [2] .

وللإيمان طعم وحلاوة ؛ فعن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً) [3] .

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) ؛ الرجل الذي أحب الله ﷻ وأحب رسوله أعظم من كل شيء ، فهذا الذي يذوق حلاوة الإيمان ، وكذلك (وأن يحب المرءَ لا يُحِبُّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار) [4] .

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٨١) ، وأحمد (٣ / ٤٣٨ ، ٤٤٠) وهو حديث حسن .

(٢) رواه أحمد (٢ / ٣٥٢ ، ٣٦٤) .

(٣) رواه مسلم (٣٤) في كتاب الإيمان .

(٤) رواه البخاري (١٦ ، ٦٩٤١) ، ومسلم (٤٣) .

وللإيمان شعب كثيرة ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (الإيمان بضع وسبعون شعبة) وفي روايةٍ : (بضع وستون شعبة ، أفضلها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان) [1] .

وفي الحديث الحسن عن أبي هريرة ﷺ قال : قال عليه الصلاة والسلام : (الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار) [2] .

وللإيمان صريح ومحض ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : جاء ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدُنا أن يتكلم به ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (وقد وجدتموه ؟) قالوا : نعم . قال : (ذاك صريح الإيمان) [3] .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : سئل النبي ﷺ عن الوسوسة فقال : (تلك محضُ الإيمان) [4] .

---

(١) رواه البخاري (٩) ، ومسلم (٣٥) .

(٢) وراه أحمد (٢ / ٥٠١) ، والترمذي (٢٠٠٩) ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه مسلم (١٣٢) .

(٤) رواه مسلم (١٣٣) .

وللإيمان مثال ضربه النبي ﷺ بقوله : (مثل المؤمن كزرعٍ لا تزال الرياح تُفِيئُهُ ، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ، ومثل المنافق كمثلِ شَجَرَةِ الأُرْزِ لا تهتز حتى تَسْتَحْصِدَ)(١) والعياذ بالله ﷻ .

فهذا مثال ضربه النبي ﷺ للمؤمن الذي يبتليه ﷻ بالبلاء .

وضرب النبي ﷺ للمؤمن مثالاً آخر ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وهي مثل المؤمن . حدثوني ما هي ؟) قال ابن عمر : فوقع الناس في شجر البوادي ، وكنت من أحدَثُ الناسِ ـ أي : أصغرهم ـ ، ووقع في صدري أنها النخلة ، فقال رسول الله ﷺ : (هي النخلة) فاستحييت ـ يعني أن أقول ـ قال : فذكرت ذلك لأبي ، فقال : لأن تكون قلته ؛ أَحَبُّ إليَّ من كذا وكذا (٢) .

---

(١) رواه مسلم (٢٨٠٩) ، والترمذي (٢٨٦٦) واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . الأُرْز : بفتح الهمزة وتضم وإسكان الراء بعدهما زاي : وهي شجرة الصنوبر ، وقيل : شجرة الصنوبر الذكر خاصةً ، وقيل : شجرة العرعر ، والأول أشهر .

(٢) رواه أحمد (٦٤٦٨) ، والبخاري (٧٢) ، ومسلم (٢٨١١) .

والإيمان يتجدد فقد قال ﷺ ذات يومٍ لأصحابه ـ والحديث حسن ـ : (جَدِّدوا إيمانكم) قالوا : وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله ؟ قال : (أكثروا من قول لا إله إلا الله) [1] فإنها تجدد الإيمان .

وللإيمان أجزاءٌ ؛ فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض) [2] .

وللإيمان بلد يأوي إليه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جُحرها) [3] .

ومن صفات المؤمنين ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) [4] .

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٣٥٩) ، والطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وقال المنذري في « الترغيب » (٢٢٦٠) : وإسناد أحمد حسن .

(٢) رواه مسلم (٢٢٣) ، والترمذي (٣٥١٧) ، وابن ماجه (٢٨٠) ، والنسائي (٥ / ٥) مع اختلاف يسير في اللفظ .

(٣) رواه البخاري (١٨٧٦) ، ومسلم (١٤٧) .

(٤) رواه البخاري (٦١٣٨) ، ومسلم (٤٧) .

وفي رواية لمسلم : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يـؤذِ جـاره) ، وفي رواية : (فليحسن إلى جاره) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده ، والمُهـاجر مـن هجـر مـا نهـى الله عنه) [1] .

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويـده ، والمـؤمن مـن أمنـه النـاسُ عـلى دمـائهم وأموالهم) [2] .

---

(١) رواه البخاري (١٠) ، ومسلم (٤٠) .

(٢) رواه الترمذي (٢٧٦٢) كتاب الإيمان ، وقال : حديث حسن صحيح .

﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾

الصلاة في اللغة والشرع

(ومعنى الصلاة في كلام العرب : الدعاءُ ؛ ومنه قول الأعشى :

تقـول بنتـي وقـد قَرَّبـتُ مُـرتَحِلاً ... يا ربِّ جَنِّبْ أبي الأوصاب والوجعَا

عليكِ مثل الذي صلَّيتِ فاغتمضي ... نومـاً فـإن لجنـبِ المـرءِ مُـضطجعاً

أي : عليك من الدعاء مثل الذي دعيتِ لي) [1] .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : (وأرى أن الصلاة المفروضة سُمِّيت صلاة ؛ لأن المصلِّي مُتعرِّضٌ لاستنجاحِ طَلِبَتِهِ من ثواب الله بعمله ، مع ما يسأل ربه فيها من حاجاته) [2] .

وقال أيضاً : (وإقامتها أداؤها بحدودها وفروضها والواجب فيها على من فرضت عليه ، كما يقال : أقام القوم سُوقَهم . إذ لم يُعطِّلوها من البيعِ والشراءِ فيها) [3] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٦ ، ١٨٧) بتصرف يسير .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٤٨) .

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٤٧) .

(قال ابن عباس ﷺ : ويقيمون الصلاة أي : يقيمون الصلاة بفروضها .

وقال الضحاك عن ابن عباس قال : إقامة الصلاة ؛ إتمام الركوع والسجود والتلاوة ، والخشوع والإقبال عليها فيها .

وقال قتادة : إقامة الصلاة ؛ المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها .

وقال مقاتل بن حيَّان : إقامتها : المحافظة على مواقيتها ، وإسباغ الطهور فيها ، وتمام ركوعها وسجودها ، وتلاوة القرآن فيها ، والتشهُّد والصلاة على النبيِّ ﷺ ، فهذا إقامتها) [1] .

(فمن صفات الذين يؤمنون بالغيب : إقامة الصلوات الخمس ، **والصلاة في اللغة** : الدعاء والرحمة ، **وفي الشرع** : اسم لأفعال مخصوصة ، من قيام وركوع ، وسجود وقعود ، ودعاء وقراءة ، مع النية . فهؤلاء الذين يصدقون ـ في حزمٍ وإذعانٍ ـ بما غاب عنهم ، ويعتقدون فيما وراء المحسوس : كالملائكة واليوم الآخر ـ إذ أساس التديُّن الإيمان بالغيب ـ ، يؤدُّون الصلاة مستقيمة بتوجُّهٍ إلى الله ، بحقوقها الظاهرة ، وهي : الأركان والشروط ، والمندوبات ، وبترك المفسدات والمكروهات ، وبحقوقها الباطنة : كحضور القلب وكالخشوع) [2] .

---

(١)تفسير ابن كثير (١/ ١٨٦) .

(٢) نور الإيمان ص ٤٤ ، ٤٥ .

ونخلص مما تقدّم إلى أن إقامة الصلاة تستلزم أموراً عديدة، منها:

أولاً : إسباغ الوضوء وإتمامه :

وقد ورد في ذلك أحاديث منها :

حديث عثمان بن عفان ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه ، إلا غَفَر الله له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصلِّيها) [1] .

وعن عثمان بن عفان ﷺ أيضاً ؛ أنه توضأ ثم قال : رأيت النبيِّ ﷺ يتوضَّأ مثل وضوئي ، ثم قال : (من توضَّأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه ، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة) [2] .

وعن أبي أُمامة ﷺ أن النبيِّ ﷺ قال : (من توضأ فأسبغ الوضوء : غسَلَ يديه ، ووجهه ، ومسحَ على رأسه وأُذُنيه ، ثم قام إلى الصلاة المفروضة غفر الله له في ذلك اليوم مامشَتْ إليه رجلُه ، وقَبَضَتْ عليه يداه ، وسمعتْ إليه أُذُناه ، ونظرتْ إليه عيناه ، وحدث به نفسه من سُوء) .

قال : والله لقد سمعتُهُ من نبيِّ الله ﷺ مالا أُحْصِيهْ [3] .

(١) رواه النسائي (١/ ٩١) رقم (١٤٦) ، وابن خزيمة في " صحيحه " (١ / ٤) ، وقال المنذري في الترغيب (٢٩٢) : إسناده على شرط الشيخين .

(٢) رواه مسلم (٢٤٥) .

(٣) رواه أحمد (٢٢٢٧٢) وقال محققو المسند : صحيح بطرقه وشواهده .

وعن عُقبة بن عامر ﷺ أنَّ النبيِّ ﷺ قال : (ما منكم من أحدٍ يتوضـأُ فَيُبْلِـغُ (أو فَـيُسبغُ الـوضُـوء) ثم يـقول : أشهـد أن لا إلـه إلا الله وأنَّ مـحمداً عبده ورسوله ، إلا فُتحت له أبوابُ الجنة الثمانية يدخل مِنْ أيها شاء) [1] .

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : (إسباغ الوضوء شـطر الإيمان) [2] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قـال : (ألا أدلكـم عـلى مـا يمحـو الله بـه الخطايا ويرفع به الدرجات ؟) قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : (إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصَّلاة بعد الـصَّلاة ، فـذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط) [3] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهَهُ ، خرج من وجهه كل خطيئةٍ نظر إليها بعينيه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئةٍ كان بطشتها يداه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجـلاه مـع الماء ، أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذُنُوب) [4] .

---

(١) رواه مسلم (٢٣٤) .

(٢) رواه ابن ماجَهْ (٢٨٠) ، وهو في صحيح مسلم (٢٢٣) بلفظ : (الطهور شطر الإيمان . . .) .

(٣) رواه مسلم (٢٥١) ، ومالك (١/ ١٦١) ، والترمذي (٥١) ، والنسائي (١٤٣) .

(٤) رواه مالك في الموطأ (١/ ٣٢) ، ومسلم (٢٤٤) ، والترمذي (٢) . وليس عند مالك والترمذي غسل الرجلين .

ثانياً : الصلاة في أول وقتها :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ [1] .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ : أي العمل أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال : (الصلاة على وقتها) . قلت : ثم أي؟ قال : (بر الوالدين) . قلت : ثم أي ؟ قال : (الجهاد في سبيل الله) . قال : حدثني بهنَّ رسول الله ﷺ ، ولو استزدته لزادني [2] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : مرَّ النبيُّ ﷺ على أصحابه يوماً فقال لهم : (هل تدرون ما يقول ربُّكم تبارك وتعالى ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم . قالها : ثلاثاً . قال : (وعزَّتي وجلالي لا يصلِّيها أحدٌ لوقتها إلا أدخلته الجنة ، ومنْ صلاها لغير وقتها إن شئت رحمته وإن شئت عذبته) [3] .

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (خمس صلوات افترضهنَّ الله ، مَنْ أحسنَ وضوءهن ، وصلاهُنَّ لِوقْتهن ، وأتمَّ

---

(١) النساء : ١٠٣ .

(٢) رواه البخاري (٥٢٧) ، ومسلم (٨٥) ، والترمذي (١٨٩٨) ، والنسائي (٦١٠) .

(٣) قال المنذري في الترغيب (٥٧١) : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن إن شاء الله تعالى . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٠٢) : رواه الطبراني في الكبير وفيه يزيد بن قتيبة ، وذكره ابن أبي حاتم ، وذكر له راوٍ واحد ، ولم يوثِّقه ولم يُجرِّحه .

ركوعهن وسجودهن وخُشوعهن ، كان له على الله عَهْدٌ أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهدٌ ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذَّبهُ) [1] .

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : كان رجلان أخوان فهلك أحدهما قبل صاحبه بأربعين ليلةً ، فذُكِرَتْ فضِيلةُ الأول منهما عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : (ألم يكن الآخر مسلماً ؟) قالوا : بلى ، وكان لا بأس به ، فقال رسول الله ﷺ : (وما يدريكم ما بلغت به صلاتُهُ ، إنما مثل الصلاة كمثل نهر عَذْب غَمْرٍ بباب أحدكم يقتحم فيه كل يومٍ خمس مراتٍ فما ترون في ذلك يُبْقِي من درنِهِ ، فإنكم لا تدرون ما بلغت به صلاتُهُ) [2] .

(١) رواه أبو داود (٤٢٥) ، وهو بلفظ مقارب عند مالك (١/ ١٢٣) ، والنسائي (٤٦١) ، وابن حبان (١٧٣١) . وقال الشيخ شعيب : حديث صحيح .

(٢) رواه الإمام مالك (١/ ١٧٤) ، وأحمد (١٥٣٤) ، وابن خزيمة (١/ ١٦٠) ، والحاكم (١/ ٢٠٠) ، وانظر : المجمع (١/ ٢٩٧) وقال محقق(المسند) : إسناده قوي على شرط مسلم . [يقتحم : يخوض فيه ويجوزه] .

ثالثاً : الخشوع فيها :

عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : (ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ، ثم يقوم في صلاته ، فيعلمُ ما يقول ، إلا انفَتلَ وهو كيومَ ولدته أمه . . . الحديث) [1] .

وفي رواية : (ما من مُسلمٍ يتوضأ ، فيحسن وُضُوءَه ، ثم يقوم فيصلِّي ركعتين . مُقبلٌ عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة) [2] .

وعن أبي الدرداء ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : (أول شيءٍ يُرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى خاشعاً) [3] .

وعن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير عن أبيه ﷺ قال : (رأيت رسول الله يُصلِّي وفي صدره أزيزٌ كأزيز الرحى من البكاء)[4] ، وفي رواية : (كأزيز المِرجَل . . .) أي : أن لجوفه حنيناً كصوت الرَّحا ، أو كصوت غليان القِدْر . من خشوعه وبكائه ﷺ .

---

(١) رواه مسلم (٢٣٤) ، وأبو داود (١٦٩) ، وغيرهما .

(٢) رواه مسلم (٢٣٤) .

(٣) قال المنذري في " الترغيب " (٧٦٠) : رواه الطبراني بإسناد حسن ، ورواه ابن حبان في صحيحه في آخر حديث موقوفاً على شداد بن أوس ، ورفعه الطبراني أيضاً ، والموقوف أشبه . أ . هـ وحسَّن إسناده الهيثمي في المجمع (٢/ ١٣٦) .

(٤) رواه أبو داود (٩٠٤) ، والنسائي (١٢١٤) ، وابن خزيمة (٢ / ٥٣) ، وابن حبان (٦٦٥ ، ٧٥٣) ط . الرسالة . وقال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم .

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءَها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله)[1] .

رابعاً : إتمام الركوع والسجود :

عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود)[2] .

وعن أبي قتادة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (أَسوَأُ الناس سرقةً الذي يسرق من صلاته) قالوا : يارسول الله وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : (لا يتمُّ ركوعها ولا سجودَها) أو قال : (لا يقيم صُلبه في الركوع والسجود)[3] .

وعن طَلقِ بن عليٍّ الحنفي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا ينظر الله إلى صلاةِ عبدٍ لا يقيم فيها صُلبه بين ركوعها وسجودها)[4] .

---

(١) رواه مسلم (٢٢٨) .

(٢) رواه الإمام أحمد (١٧٠٧٣) ، وأبو داود (٨٥٥) واللفظ له ، والترمذي (٢٦٥) وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٢٦٤٢) ، والطبراني ، وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٣٣٢) ، والحاكم (١/ ٢٢٩) وقال : صحيح الإسناد .

(٤) قال المنذري في "الترغيب" (٧٣٤) : رواه الطبراني في الكبير ، ورواته ثقات .

وأبصر بلالٌ ﷺ رجلاً لا يتم الركوع ولا السجود فقال : لو مات هذا لمـات على غير ملة محمد ﷺ [1] .

وعن أبي هريرة ﷺ قـال : قـال رسـول الله ﷺ : (الـصلاة ثلاثـةُ أثـلاث : الطهور ثلث ، والركوع ثلث ، والسجود ثلث ، فمن أَدَّاها بحقِّها قُبلتْ منـه ، وقُبِلَ منه سائرُ عمله ، ومن رُدَّتْ عليه صلاتُهُ رُدَّ عليه سائر عمله) [2] .

وقد جمع النبي ﷺ ما تقدم كله ؛ فعن عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : (خمسُ صلوات افترضهن الله ﷻ من أحـسن وضـوءهنَّ وصـلاهنَّ لوقتهنَّ وأتمَّ ركوعهنَّ وسجودهنَّ وخشوعهنَّ كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذَّبه) [3] .

---

(١) قال المنذري في " الترغيب" (٧٤١) : رواه الطبراني ورواته ثقات .

(٢) رواه البزار (٣٤٩) وقال : لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث المغيرة بن مسلم . وقال في الترغيب (٧٥٢) : إسناده حسن .

(٣) تقدم تخريجه ص [٣٧] .

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنه : يؤتون الزكاة احتساباً لها .

وقال الضحاك رحمه الله : كانت النفقات قرباناً يتقربون بها إلى الله على قدر ميسورهم وجُهدهم ، حتى نزلت فرائض الصدقات ؛ سبعُ آيات في سورة براءَة مما يذكر فيهن الصدقاتُ ، هُنَّ المُثبتاتُ الناسخات .

وقال ابن عباس أيضاً ، وكذا قال ابن مسعود ، وناسٌ من أصحاب النبي ﷺ قالوا : هي نفقة الرجل على أهله ، وهذا من قبل أن تنزل الزكاة [1] .

وهنا جمع الله جل وعلا بين الصلاة والزكاة في هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ كما جمع بينهما في آيات أخرى ؛ منها قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ؛ فها نحن نراه سبحانه وتعالى في نص القرآن العظيم يجمع بين الصلاة والزكاة ؛ وهنا يقول الإمام ابن كثيرٍ رحمه الله تبارك وتعالى بأن في ذلك حكمة ؛ وهي أنَّ الصلاة صلة بينك وبين خالقك سبحانه وتعالى ، والزكاة والصدقة هي صلة بينك وبين المخلوقين ، فإذا أديت الصلاة والزكاة فقد أحسنت صلتك بالله وصلتك بعباد الله تبارك وتعالى.

---

(١) انظر هذه الأقوال في " تفسير الطبري" (١/ ٢٤٩ ، ٢٥٠) ، وابن كثير (١/ ١٨٦) ، والدر المنثور (١/ ٢٧) .

ولهذا استحب العلماء رحمهم الله تبارك وتعالى إذا جاء المسلم لأداء الصلاة في المسجد أن يتصدَّق ، حتى يجمع بين الأجرين وبين الفضلين .

وعن زِرِّ بن حُبَيْشٍ أنَّ عبد الله بن مسعود ﷺ كان عنده غلامٌ يقرأ في المصحف ، وعنده أصحابه ، فجاء رجلٌ يقال له حَضْرمةُ ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ! أيُّ درجات الإسلامِ أفضلُ ؟ قال : الصلاة . قال : ثم أي ؟ قال : الزكاة [1] .

(فقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ أي : أعطيناهم ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ أي : والذين يُنفقون بعض مالهم الذي رزقهم الله تعالى وأعطاهم في وجوه الخير والبر ، في طاعته تعالى وسبيله ، ويدخل في ذلك إنفاق المندوب ، وهو صدقة التطوع ، وإنفاق الواجب ، كالزكاة والنذر .

والإنفاق المحمود : الإنفاق في الجهاد في سبيل الله تعالى ، وفي سبيل المشروعات الخيرية : كعمارة المساجد ، والمدارس والمستشفيات ، ونحوها مما هو في سبيل الله ، ولينتبه إلى أن إدخال "من " التبعيضية لصيانة الناس عن التبذير المنهي عنه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [2] : أي : ولا تسرفوا إسرافاً ، وما أحسن قول من قال ، وما أصدقه :

---

(١) قال المنذري في "الترغيب" (١١١٥) : رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به . وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣/ ٦٨) : "رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوقون " .

(٢) الإسراء : ٢٦ .

إذا ملكتْ كَفِّي منالاً ولم أنل فلا انبسطت كفي ولا نهضت رجلي
على الله إخلاف الذي قد بذلته فلا مُتلفي بذلي ولا مُسْعِدي بخلي
أروني بخيلاً طال عمراً ببخله وهاتوا كريماً ماتَ مِنْ كثرة البذل)[1]

وقد ورد في نصوص الوحي المطهَّر نصوصٌ كثيرة تدعو للإنفاق والبذل في سبيل الله تعالى ، سواء كانت هذه النفقات عامةً ، أم أنها زكاة ، أم أنها على الأهل والأقارب ، وإليك بعض هذه النصوص :

أولاً : من القرآن الكريم :

١ - قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [2] .

٢ - ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] .

٣ - ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [4] .

---

(١) نور الإيمان ص ٤٥ ، بتصرف يسير .

(٢) البقرة : ٢٥٤ .

(٣) البقرة : ٢٦١ .

(٤) التوبة : ١٠٣ .

٤ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾(١) .

٥ - ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢) .

٦ - ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٣) .

٧ - ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾(٤) .

٨ - ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾(٥) .

٩ - ﴿ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٦) .

---

(١) البقرة : ٢٦٧ .

(٢) البقرة : ١٩٥ .

(٣) البقرة : ٢٤٥ .

(٤) المعارج : ٢٤ـ٢٥ .

(٥) الحديد : ٧ .

(٦) التوبة : ٦٠ .

١٠ - ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[1] .

١١ - ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[2] .

ثانياً : من السنة :

(أ) - في الزكاة المفروضة :

عن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (خمسٌ من جاء بهنَّ مع إيمانٍ دخل الجنة : مَنْ حافظ على الصلوات الخمس ؛ على وضوئهن وركوعهنَّ وسجودهنَّ ومواقيتهنَّ ، وصام رمضان ، وحجَّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً ، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه)[3] .

وعن الحسن ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (حَصِّنُوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصَّدقة ، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرُّع)[4] .

---

(١) البقرة : ٢١٥ .

(٢) الحديد : ١١ .

(٣) قال المنذري في "الترغيب" (١٠٩٥) : " رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد " . وكذا قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١/ ٤٧) .

(٤) حديثٌ حسن ، قاله محققو الترغيب (١١٠٢) .ط ابن كثير ، رواه أبو داود في " المراسيل " (١٠٥) ، والطبراني في "الأوسط " (١٩٦٣) و "الكبير" من حديث عبد الله ابن مسعود ، والبيهقي في "الشعب" (٣٥٥٧) من حديث أبي أمامة ﷺ .

وعن عبد الله بن معاوية الغاضِرِيِّ ﷺ ـ من غَاضِرَةِ قيسٍ ـ قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاثٌ مَن فَعَلهُنَّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان : من عَبَدَ الله وحده ، وعلم أن لا إله إلا الله ، وأعطى زكاة ماله طيبةً بها نفسُهُ رافدةً عليه كلَّ عامٍ ولم يُعْطِ الهَرِمَةَ ، ولا الدَّرِنَةَ ، ولا المريضة ، ولا الشَّرَطَ اللئيمَةَ ، ولكن من وسط أموالكم ، فإن الله لم يسألكم خَيْرَهُ ولم يأمُرْ بشَرِّهِ) [1] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال : (أُمرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له) [2] .

وعن عليِّ بن أبي طالب ﷺ قال : (لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ، وموكله ، وشاهده ، وكاتبه ، والواشمه والمستوشمه ، ومانعَ الصدقة ، والمحلِّلَ والمحلَّلَ له) [3] .

وعن بُريدة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (ما منع قومٌ الزكاةَ إلا ابتلاهم الله بالسنين) [4] .

---

(١) حديثٌ حسن ، قاله محققو الترغيب (١١١١) ، رواه أبو داود (١٥٨٢) وقوله "رافدةً عليه" : من الرفد ، وهو الإعانة ومعناه : أنه يعطي الزكاة ونفسه تعينه على أدائها بطيبها وعدم حديثها له بالمنع . "والشَرَط" : هي الرذيلة من المال كالمُسِنَّة والعجفاء ونحوهما . "والدَّرنة" : الجرباء .

(٢) قال المنذري في الترغيب (١١٢٤) : رواه الطبراني في الكبير موقوفاً هكذا بأسانيد أحدها صحيح . وكذا قال : الهيثمي في المجمع (٣/ ٦٢). ورواه الأصبهاني في "الترغيب والترهيب" (١٠١٨).

(٣) رواه أحمد (٦٦٠ ، ٦٧١) ، والأصبهاني في الترغيب (١٣٨١) ، والنسائي (٨/ ١٤٧) ، رقم (٥١٠٣) . وقال محققو المسند : حسن لغيره .

(٤) قال المنذري في الترغيب (١١٣٤) : رواه الطبراني في الأوسط ، ورواته ثقات ، والحاكم (٢/ ١٢٦) ، والبيهقي في سننه (٣/ ٣٤٦) في حديث ؛ إلا أنهما قالا : "ولا منع قومٌ الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر " وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . أ . هـ .

(ب) في النفقة على الأهل والعيال :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدَّقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً : الذي أنفقته على أهلك) (1) .

وعن سلمان بن عامر ﷺ عن النبي ﷺ قال : (الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذوي الرحم ثنتان : صدقة وصلة) (2) .

وعن حكيم بن حزام ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الصدقات ؛ أيها أفضل ؟ فقال : (على ذي الرحم الكاشح) (3) .

وعن جرير بن عبد الله البجَلي قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه ، فيسأله فضلاً أعطاه الله إياه فيبخل عليه إلا أخرج الله له من جهنم حيَّة يقال لها : شُجَاعٌ ؛ يتلمَّظ فيطوقه به) (4) .

---

(1) رواه مسلم (٩٩٥) .

(2) رواه النسائي (٢٥٨٢) ، والترمذي (٦٥٨) وحسَّنه ، وابن خزيمة (٢٣٨٥) ، وابن حبان (٣٣٣٣) ، والحاكم (١/ ٤٠٧) وقال : صحيح الإسناد .

(3) رواه أحمد (٣/ ٤٠٢) ، والطبراني ، وقال في "الترغيب " (١٣١١) : وإسناد أحمد حسن . [والكاشح] : المضمر العداوة في باطنه .

(4) قال المنذري في الترغيب (١٣١٦) : رواه الطبراني في " الأوسط " (٥٥٩٣) و " الكبير " بإسناد جيد . أ .هـ وكذا قال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٤) ، والتلمُّظ : تطَعُّم ما يبقى في الفم من آثار الطعام .

يبخل على قريبه ، ويعطي الفقراء والمساكين من غير أقاربه ، وهـذه صـورة واقعة في مجتمعاتنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فـإذا جـاءه الفقـير من أي مكان كان أعطى بنفسٍ سخية ، وإن جاءه فقير من أقاربه اعتـذر إليـه ، وهذه مصيبة عظيمة لأنها تؤدي إلى تفكك المجتمعات والأسر ، وزرع البغضاء والضغينة في نفوس الناس ، فأفضل الصدقة هي الصدقة على الفقير القريب .

وروى البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقـاص ﷺ أن رسـول الله ﷺ قال له : (وإنك لن تنفق نفقه تبتغي بها وجه الله ؛ إلا أُجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك) [1] ، أي : ما تطعم به زوجتك في فمها تُؤَجر عليه ؛ رغـم أنه ربما يكون على سبيل الملاعبة والتلذذ ؛ لكن فضل الله واسع .

وعن المقدام بن معد يكرب ﷺ قـال : قـال رسـول الله ﷺ : (مـا أطعمـت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهـو لـك صـدقة ، ومـا أطعمـت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة) [2] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : (اليد العليـا أفـضل من اليد السُّفلى ، وابدأ بمن تعول ؛ أمـك وأبـاك ، وأختـك وأخـاك ، وأدنـاك فأدناك) [3] .

---

(١) رواه البخاري (٥٦) ، ومسلم (١٦٢٨) .

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٣١) رقم (١٧١٧٩) ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٨٢ ، ١٩٥) ، والنسائي في " الكبرى" (٩١٨٥ ، ٩٢٠٤) . وقال المنذري : إسناده جيد .

(٣) قال المنذري في الترغيب (٢٩٢٠) : رواه الطبراني بإسناد حسن . وهو في الصحيحين وغيرهما بنحوه من حديث حكيم بن حزام . وحسَّن الهيثمي إسناده في المجمع كذلك (٣/ ١٢٠) .

وعن أبي مسعود البدري ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : (إذا أنفق الرجل على أهله نفقةً وهو يحتسبها كانت له صدقةً)[1] .

وهذا الحديث يدلنا فيه النبي ﷺ إلى أهمية النية ؛ أن ينوي المسلم وهو ينفق ويشتري لأهله الطعام واللباس والشراب ؛ أن ينوي بذلك وجه الله تبارك وتعالى ، وأن ينوي بها رضى الله ، وأن يحتسبها عند الله تبارك وتعالى ، فإنه إن احتسبها كتب الله له أجرها فضلاً منه وكرماً .

(ج) في النفقة العامة (النافلة) :

وهي التي تكون للفقراء والمساكين ، ولقضاءِ حوائج المسلمين ؛ وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[2] .

ويروى من حديث فاطمة بنت قيس أنها قالت : سألت أو سُئل رسول الله ﷺ عن الزكاة ، فقال : (إن في المال لحقاً سوى الزكاة) ثم تلا هذه الآية التي في البقرة : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

---

(١) رواه البخاري (٥٥) ، ومسلم (١٠٠٢) ، والترمذي (١٩٦٥) .

(٢) آل عمران : ٩٢ .

وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1] .

فليست الزكاة هي التي تجب علينا فقط ، ولكن إذا نزلت بالمسلمين مصيبة في أي بلدٍ من البلدان فاحتاجوا إلى المال ، فهو واجب حتى ولو كان الإنسان قد أدى زكاة ماله ، وقد قال الله جل وعلا : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[2] وهذا وعد من الله ﷻ ؛ أن من أنفق أخلف الله ﷻ في ماله ، بل وعد ﷻ في مواضع أخرى بالمضاعفة للمنفق إلى عشرة أضعاف ، بل إلى أضعاف كثيرة أخرى .

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : (ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا مَلَكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهمُّ أعط مُنفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط مُمْسِكاً تَلَفاً)[3] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : قال الله تعالى تفأ أنفِق أُنفِقْ عَليك ـ وقال ﷺ ـ : يدُ الله مَلأَى لايغيضها نفقةٌ ، سَحَّاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذُ خلق السموات والأرض فإنه لم يَغِضْ ما بيده ، وكان عرشه على الماء ، وبيده الميزان يخفض ويرفع)[4] .

---

(١) رواه الترمذي (٦٥٤ ، ٦٥٥) في الزكاة ، وقال : هذا حديثٌ إسناده ليس بذاك .
والآية من سورة البقرة : ١٧٧ .

(٢) سبأ : ٣٩ .

(٣) رواه البخاري (١٤٤٢) ، ومسلم (١٠١٠) .

(٤) رواه البخاري (٤٦٨٤) ، ومسلم (٩٩٣) ، و "لا يغيضها" أي : لا ينقصها .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (أيكم مال وارثه أحبُّ إليه من ماله ؟) قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . فقال ﷺ : (فإن مالَهُ ما قدَّم ، ومال وارثه ما أخَّر)(١) .

وعنه ﷺ قال : دخل النبيُّ ﷺ على بلالٍ وعنده صُبَرٌ من تمرٍ ، فقال : ما هذا يا بلال ؟ قال : أُعِدُّ ذلك لأضيافك . قال : (أما تخشى أن يكون لك دُخَانٌ في نار جهنّم ، أنفق يا بلالُ ؟ ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً) (٢) .

وعنه ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : (لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار)(٣) .

ماهو القدر الذي ينبغي إنفاقه ؟ وفيمَ يُنفق ؟

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في " أضواء البيان " : (﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ عبَّر في هذه الآية الكريمة بـ"من" التبعيضية الدالة على أنه ينفق لوجه الله بعض ماله لا كله . ولم يبيِّن هنا القدر الذي ينبغي إنفاقه ، والذي

(١) رواه البخاري (٦٤٤٢) ، والنسائي (٣٦١٢) .

(٢) رواه البزار (٣٦٥٣) ، وقال المنذري في الترغيب (١٣٤٩) : إسناده حسن وهو عند الطبراني في الكبير وفيه : (أما تخشى أن يفور له بخارٌ في نار جهنم) .

(٣) رواه البخاري (٧٣) ، ومسلم (٨١٥ ، ٨١٦) والمراد بالحسد : الغبطة ؛ وهي أن تتمنّى مثل ما للمغبوط ، وهذا لا بأس به ، وأمّا تمنِّي زوال النعمة عن الغير فهذا حرامٌ ، وهو الحسد المذموم شرعاً .

ينبغي إمساكه . ولكنه بيَّن في مواضع أخر أن القدر الذي ينبغي إنفاقه : هو الزائد على الحاجة وسدِّ الخلة التي لا بُدَّ منها ، وذلك كقوله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [١] ، والمراد بالعفو : الزائد على قدر الحاجة التي لا بدَّ منها على أصحِّ التفسيرات ، وهو مذهب الجمهور . . . .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [٢] . فنهاه عن البخل بقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ ، ونهاه عن الإسراف بقوله : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ فيتعيَّن الوسط بين الأمرين . كما بيَّنه بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [٣] فيجب على المنفق أن يُفرِّق بين الجود والتبذير ، وبين البخل والاقتصاد . فالجود : غير التبذير ، والاقتصاد : غير البخل . فالمنع في محل الإعطاء مذموم . وقد نهى عنه نبيه ﷺ بقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ والإعطاء في محل المنع مذموم أيضاً ، وقد نهى عنه نبيه ﷺ بقوله : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ .

وقد بيَّن الله تعالى في مواضع أخر : أنَّ الإنفاق المحمود لا يكون كذلك ، إلا إذا كان مصروفه الذي صرف فيه مما يُرضي الله . كقوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ

---

(١) البقرة : ٢١٩ .

(٢) الإسراء : ٢٩ .

(٣) الفرقان : ٦٧ .

مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (١) . وصرح بأن الإنفاق فيما لا يرضي الله حسرة على صاحبه في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٢) . . . . . .

فإن قيل : هذا الذي قررتم يقتضي أنَّ الإنفاق المحمود هو إنفاق مازاد على الحاجة الضرورية ، مع أن الله تعالى أثنى على قوم بالإنفاق وهم في حاجة إلى ما أنفقوا ، وذلك في قوله : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

فالظاهر في الجواب ـ والله تعالى أعلم ـ : هو ما ذكره بعض العلماء من أنَّ لكلِّ مقام مقالاً ، ففي بعض الأحوال يكون الإيثار ممنوعاً . وذلك كما إذا كانت على المنفق نفقات واجبه . كنفقة الزوجات ونحوها فتبرع بالإنفاق في غير واجب وترك الفرض لقوله ﷺ : (وابدأ بمن تعول) ، وكأن يكون لا صبر عنده عن سؤال الناس ، فينفق ماله ويرجع إلى الناس يسألهم مالهم ، فلا

---

(١) البقرة : ٢١٥ .

(٢) الأنفال : ٣٦ .

(٣) الحشر : ٩ .

يجوز لـه ذلك ، والإيثار فيما إذا كان لم يضيع نفقه واجبة ، وكان واثقاً من نفسه بالصبر والتعفُّف وعدم السؤال) . أ . هـ [1] .

(١) انظر : (أضواء البيان) (١/ ٤٥ ـ ٤٧) .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾

هذه هي ختام صفات المتقين الواردة في الآية السابقة لهذه الآية ، وهي قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ، ثم قال بعدها سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ونتحدث في هذه الصفحات عن بداية هذه الآية وهي قوله جل وعلا : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ .

هذه الآية العظيمة تتحدث عن الإيمان ، وقد افتتحت صفات المتقين أيضاً بالإيمان ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ فصفات المتقين مبتدأة بالإيمان ومختتمة بالإيمان ، وكذلك سورة البقرة افتتحها الله تبارك وتعالى بالإيمان ، واختتمها بالإيمان في قوله : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] وهذا فيه إشارة إلى أهمية الإيمان ، وإلى عظيم مكانة الإيمان ، ووالله لو عرف الإنسان قيمة أو مكانة هذا الإيمان ، لكان أول دعاء يدعو به الله ﷻ في صلاته وفي

---

(١) البقرة : ٢٨٥ .

صيامه وفي حجه ، وفي كل مكان معظم ، وفي كل ساعةٍ معظمة ؛ لكان أول ما يطلب من الله ﷻ ؛ قبل أن يطلب منه العفو والعافية يطلب من الله ﷻ الإيمان ؛ فالإيمان هو أغلى شيء ، وأثمن شيء .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : (قال ابن عباس رضي الله عنه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ أي : يُصدِّقونك بما جئت به من الله ، وما جاء به مَن قبلك من المرسلين ، لا يفرِّقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاءوهم به من ربهم .

وقد اختلف المفسِّرون في الموصوفين هاهنا : هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ ﴾ ومَن هم ؟ على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير .

الأول : أن الموصوفين أولاً هم الموصوفون ثانياً ، وهم كل مؤمن ، مؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم ، قاله مجاهد ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة .

والثاني : هما واحد ، وهم مؤمنو أهل الكتاب ، وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات ، كما قال تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ . . . . .

فعطف الصفات بعضها على بعض ، والموصوف واحد .

والثالث : أن الموصوفين أولاً مؤمنو العرب ، والموصوفون ثانياً بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ الآية مؤمنو أهل الكتاب ، نقله السُّدِّي في تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود وأُناس من الصحابة ، واختاره ابن جرير ، ويُستَشْهَدُ لما قاله بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾[1] . وبقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[2] .

وثبت في الصحيحين ، من حديث الشعبي عن أبي بُردَة عن أبي موسى : أن رسول الله ﷺ قال : (ثلاثة يُؤْتَوْن أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيِّه ، وآمن بي، ورجل مملُوك أدى حَّق الله وحق مواليه ، ورجلٌ أدَّب جاريته فأحسَنَ تأديبَها ، ثمَّ أعتقها وَتَزَوَّجَها)[3] .

وأما ابن جرير فما استشهد على صحَّة ما قال إلا بمناسبةٍ ، وهي أن الله تعالى وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين ، فكما أنه صنَّف الكافرين إلى صنفين : منافقٍ وكافرٍ ، فكذلك المؤمنون صنَّفهم إلى عربيٍّ وكتابيٍّ .

(١) آل عمران : ١٩٩ .

(٢) القصص : ٥٢ ـ ٥٤ .

(٣) رواه البخاري (٩٧) ، ومسلم (١٥٤) .

قلت : والظاهر قول مجاهد ـ فيما رواه الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد ـ ورواه غير واحد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه قال : أربع آيات من أول سورة البقرة في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة في المنافقين ، فهذه الآيات الأربع عامَّة في كلِّ مؤمن اتَّصف بها من عربيٍّ وعجميٍّ وكتابيٍّ من إنسي وجنّي ، وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأُخرى ، بل كلُّ واحدة مستلزمة للأخرى وشرطٌ معها ، فلا يصحُّ الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ وما جاء به مَن قبله من الرسل والإيقان بالآخرة ، كما أن هذا لايصحُّ إلا بذاك ، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بذلك ، كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ (٣) .

(١) النساء : ١٣٦ .

(٢) العنكبوت : ٤٦ .

(٣) النساء : ٤٧ .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[1] . وأخبر تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك فقال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2] الآية . وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾[3] . وغير ذلك من الآيات الدالة على أمر جميع المؤمنين بالإيمان بالله ورسله وكتبه . لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية ، وذلك أنهم مؤمنون بما بأيديهم مفصَّلاً ، فإذا دخلوا في الإسلام ، وآمنوا به مفصَّلاً كان لهم على ذلك الأجر مرتين ، وأما غيرهم فإنما يحصل لـه الإيمان بما تقدَّم مجملاً .

كما جاء في الصحيح : (إذا حَدَّثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم ، ولكن قولوا : آمنا بالذي أُنزل إلينا وأنزل إليكم)[4] . ولكن قد يكون إيمان كثير من العرب بالإسلام الذي بُعِثَ به محمد ﷺ أتمَّ وأكمل وأعمَّ و أشملَ من إيمان مَنْ دخل منهم في الاسلام ، فهم وإن حصل لهم أجران من

(١) المائدة : ٦٨ .

(٢) البقرة : ٢٨٥ .

(٣) النساء : ١٥٢ .

(٤) رواه البخاري (٤٤٨٥) من حديث أبي هريرة ﷺ ، والإمام أحمد في مسنده (١٧٢٢٥) من حديث أبي نملة الأنصاري ﷺ ، وقال محققو المسند : إسناده حسن .

تلك الحيثية ، فغيرهم يحصل لـه من التصديق مـا يُنِيـف ثوابـه عـلى الأجـرين اللذين حَصَلا لهم ، والله أعلم) [1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ؛ الذي أنزل على النبي محمد ﷺ هو القرآن الكريم كما قـال تعـالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [2] . وقــال أيــضاً : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [3] .

وقال تعـالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [4] .

– وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ ـ يعني القرآن .

وقدَّم الله تعالى في هذه الآيـة الإيـمان بنبيـه محمـد ﷺ ، وكتابـه عـلى الإيـمان بالأنبياء السابقين وكتبهم لأمورٍ منها :

١ – أنَّ محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين .

---

(١) " تفسير ابن كثير " (١/ ١٨٧ ـ ١٩٨) ط . ابن حزم .

(٢) النساء : ١٠٥ .

(٣) النساء : ١١٣ .

(٤) القصص : ٥٢ ـ ٥٤ .

٢- ولأنَّ كتاب الله القرآن ؛ ناسخٌ لجميع الكتب السماوية ؛ لأنـه آخرهـا ولأنه للعالمين جميعاً ؛ والكتب السابقة أنزلت على أقوامهم فقط .

٣- لأنَّ الكتبَ السابقة دخل فيها التحريف والنقص والتضييع ، وهـذه حقيقة أثبتها علماءُ أهلِ الكتاب أنفسهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ ۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال سبحانه وتعـالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾(٢) .

وقـــال ســـبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾(٣) .

---

(١) البقرة : ٧٥ .

(٢) المائدة : ١٥ .

(٣) المائدة : ٤٨ .

من الكتب السابقة قبل القرآن :

والذي أنزل على رسل الله وأنبيائه السابقين ـ من الكتب السالفة ـ كثيرٌ ، ذكر الله منها في القرآن الكريم :

❖ صحف إبراهيم ، وصحف موسى عليهما السلام ، قال سبحانه : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (١) .

❖ توراة موسى عليه السلام ، قال سبحانه : ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) .

❖ زبور داود عليه السلام ، قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ (٣) .

❖ إنجيل عيسى عليه السلام ، قال ﷻ : ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ (٤) .

❖ ولقد ذكر الله لنا بعضاً مما في التوراة والإنجيل ؛ فقال ﷻ : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ﴾ (٥) .

---

(١) الأعلى : ١٨ ـ ١٩ .

(٢) المائدة : ٤٣ .

(٣) الإسراء : ٥٥ .

(٤) الحديد : ٢٧ .

(٥) المائدة : ٤٥ .

❖ وقوله سبحانه أيضاً : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ ﴾ (1) .

❖ وقـال تعـالى : ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴾ (2) .

والكتب السابقة كلها وكَلَ الله حفظها إلى مَنْ أُنزلت إليهم ؛ ولهذا وقع فيها التحريف والنقص و الزيادة ؛ وأما كتاب الله القرآن ، فهو محفوظ بحفظ الله له ، لا يدخله نقص ولا زيادة ، ولا تحريف ولا تبديل .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (3) .

وقال جل شأنه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ (4) .

---

(1) الفتح : ٢٩ .

(2) النجم : ٣٦ ـ ٤١ .

(3) الحجر : ٩ .

(4) فصلت : ٤١ ـ ٤٢ .

وقـال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[1] .

والمطلوب منا كمسلمين ومؤمنين أن نؤمن بكل كتاب أنزله الله ﷻ إجمالاً ، وأن نؤمن بكل كتاب ذكره الله باسمه تفصيلاً ، فكما نؤمن بالقرآن نؤمن بنزول التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف إبراهيم ، وصحف موسى ، وهذه هي الكتب الخمسة التي ذكرها الله لنا في كتابه مما أنزله على رسله وأنبيائه .

ولقد أمرنا الله تبارك وتعالى أن نؤمن بما أنزل إلينا وما أنزل من قبلنا ، فقـال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[2] .

فهذه الآية تبين لنا عظيم وأهمية الإيمان بالكتب ، فـلا يكتمـل إيـمان مـسلم حتى يؤمن بالتوراة وأنها كتاب من كتب الله ، فلو قال مسلم : التـوراة ليـست من كتب الله ، ولم ينزلها الله ، فقد كفر والعيـاذ بـالله ﷻ ، وكـذلك الإنجيـل ، وكذلك الزبور .

---

(١) المائدة : ١٥ ـ ١٦ .

(٢) النساء : ١٣٦ .

ولكن يؤمن بالتوراة والإنجيل والزبور الذي أنزله الله ﷻ، وليس الموجود الآن بين أيدي الناس، فالموجود كثير منه مختلط، مختلف، ومكذوب على الله تبارك وتعالى.

وقال ﷻ أيضاً: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1].

وهذا من أعظم الأساليب في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، إذا أردت أن تدعو إلى الله ﷻ يهوديا أو نصرانياً، فعليك أن تبين له أن الأنبياء كلهم جاؤوا بكلمةٍ واحدة، وهي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، وأنه يجب على المؤمن والمسلم أن يؤمن بكتب الله ﷻ كلها، وتبين له أنك كمسلم آمنت بالتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وصحف موسى، كما أنك مؤمن بالقرآن.

وعن أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقاً لم تكذّبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدِّقوهم)[2].

---

(١) العنكبوت: ٤٦.

(٢) رواه أحمد في المسند (١٧٢٢٥) وقال محققو المسند: إسناده حسن.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين) وذكر منهم : (رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي) [1] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[2] .

---

(١) رواه البخاري (٩٧) ، ومسلم (١٥٤) .

(٢) القصص : ٥٢ ـ ٥٤ .

﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾

أي : إيقانهم بما كان المشركون به جاحدين ، من البعث والنَّشرِ ، والثواب والعقاب ، والحساب والميزان ، وغير ذلك مما أعدّ الله لخلقه يوم القيامة .

قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنه : ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي : بالبعث والقيامة ، والجنة والنار ، والحساب والميزان [1] .

قال الشوكاني رحمه الله : (. . . الإيقان : إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه ، قاله في "الكشاف" . والمراد : أنهم يوقنون بالبعث والنشور وسائر أمور الآخرة من دون شكّ . والآخرة تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول ، وهي صفة الدار كما في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2]) [3] .

وإنما سميت بالآخرة لأن الدنيا تسبقها ، وسميت الدنيا بالأولى ، ولأن تلك الدار إنما تأتي بعدها ، ولأنها هي خاتمة المطاف ، وآخر ما يكون في حياة الإنسان ، فسماها الله تبارك وتعالى لأجل ذلك بالآخرة وبالخاتمة : ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

---

(١) تفسير ابن جرير ١/ ٢٥٢ .

(٢) القصص : ٨٣ .

(٣) (فتح القدير) (١/ ٩٢) ط . دار الوفاء ، و الكشاف (١/ ٤٢ ، ٤٣) .

ولا بد أن نتفهم معنى كلمة « اليقين » حتى نفهم معنى هذه الآية العظيمة ، لأنها مرتكزة على هذه الصفة ، وهي صفة : اليقين بالآخرة .

فاليقين صفة عظيمة من صفات المتقين ، ولا يمكن أن يكون المسلم متقياً لله تبارك وتعالى حتى تكتمل تقواه بيقينه بالله تبارك وتعالى ، فما هو هذا اليقين ؟ .

منزلة اليقين

قال ابن القيم رحمه الله : (ومنزلة اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد ، وبه تفاضل العارفون ، وفيه تنافس المتنافسون ، وإليه شمَّر العاملون ، وعَمَلُ القوم إنما كان عليه ، وإشاراتهم كلها إليه ، وإذا تزوج الصبر باليقين : ولد بينهما حصول الإمامة في الدين . قال الله تعالى ، وبقوله يهتدي المهتدون : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [1] .

وخصَّ سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين . فقال ، وهو أصدق القائلين : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ [2] .

وخصَّ سبحانه أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [3] .

---

(١) السجدة : ٢٤ .

(٢) الذاريات : ٢٠ .

(٣) البقرة : ٤ ـ ٥ .

وأخبر عن أهل النار : بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ (١) .

فـ "**اليقين**" روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح ، وهو حقيقة الصِّدِّيقيَّة ، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره .

وروى عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال : (لا تُرضينَّ أحداً بسخط الله ، ولا تحمدنَّ أحداً على فضل الله ، ولا تَذُمَّنَّ أحداً على ما لم يُؤتِك الله ، فإنَّ رزق الله لا يسوقه إليك حرصُ حريص ، ولا يردُّه عنك كراهية كاره ، وإنَّ الله بعدله وقسطه جَعَل الروح والفرح في الرضى واليقين ، وجعل الهمَّ والحزن في الشكِّ والسُّخْط) .

ومتى وصل "اليقين" إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً ، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط ، وهَمٍّ وغَمٍّ . فامتلأ محبة لله وخوفاً منه ورضىً به ، وشكراً له ، وتوكُّلاً عليه ، وإنابةً إليه ، فهو مادة جميع المقامات والحامل لها . . . .

وقال ذو النُّون : اليقين يدعو إلى قِصَر الأمل ، وقِصَرُ الأمل يدعو إلى الزهد ، والزهد يُورث الحكمة ، وهي تورث النظر في العواقب .

---

(١) الجاثية : ٣٢ .

قال : وثلاثة من أعلام اليقين : قلة مخالطة الناس في العشرة ، وترك المدح لهم في العطية ، والتنزُّه عن ذمهم عند المنع . وثلاثة من أعلامه أيضاً : النظر إلى الله في كلِّ شيء ، والرجوع إليه في كل أمر ، والاستعانة به في كل حال .

وقال الجنيد : اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ، ولا يتغيَّر في القلب .

وقال ابن عطاء : على قدر قربهم من التقوى أدركوا من اليقين .

وقال أبو بكر الوراق : اليقين مِلاك القلب ، وبه كمال الإيمان ، وباليقين عُرف الله ، وبالعقل عُقل عن الله .

"واليقين" يحمله على الأهوال ، وركوب الأخطار ، وهو يأمر بالتقدم دائماً ، فإن لم يقارنه العلم : حمل على المعاطب .

"والعلم" يأمر بالتأخر والإحجام ، فإن لم يصحبه "اليقين" قعد بصاحبه عن المكاسب والغنائم والله أعلم) أ .هـ[1] بتصرف يسير .

إذاً اليقين هو قوة الإيمان بالله تبارك وتعالى ؛ قوة الإيمان الذي ليس فيه شك ، وليس فيه ريب ، بل هو قوي ثابت كالجبل الراسخ ، فهذا هو اليقين .

---

(١) " مدارج السالكين " (٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٧) ط . دار الكتاب العربي ، بتصرف يسير .

ومنزلة اليقين من الإيمان كمنزلة الروح من الجسد ، فالإيمان جسد وروحه هو اليقين ، فبدون هذا اليقين لا يكون الإيمان كاملاً ؛ وباليقين تفاضل العارفون بالله ، وفيه تنافس المتنافسون .

واليقين شرط من شروط (لا إله إلا الله) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ من حديث طويل ـ للنبي ﷺ وفيه : (ومن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة) [1].

واليقين أثره عظيم ، قال أبو عبد الله الأنطاكي : يسير اليقين يخرج كل الشك من القلب .

ولليقين مراتب :

ولليقين ثلاث مراتب : المرتبة الأولى : علم اليقين ، والمرتبة الثانية : عين اليقين ، والمرتبة الثالثة : حق اليقين ، وقد ذكر الله عز وجل لنا المرتبتين : الأولى والثانية في سورة التكاثر ، في قوله تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾[2] .

(١) رواه مسلم (٣١) .

(٢) التكاثر : ١ ـ ٧ .

فالأولى : علم اليقين ؛ وكأن الله تبارك وتعالى يقول لعباده : لو أنكم كنتم مؤمنين ، وكنتم على علم اليقين باليوم الآخر ، وبحساب الله وعقابه ؛ لما تكاثرتم بالأموال والأولاد ، ولما غرَّتكم الحياة الدنيا ؛ لو كان عندكم علم اليقين .

أما عين اليقين ؛ فهوقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ يعني جهنم والعياذ بالله ﷻ وهذا يقين ، فالإنسان إذا لم يرَ الشيءَ قد يكون موقناً ، وقد لا يكون موقناً ، فإما إذا رآه فهو موقنٌ به ، وهذا يقين معاينة ؛ عين اليقين ، رآها بعينه ، فإذا دخل فيها والعياذ بالله ﷻ إن كانت ناراً ، وإن دخل فيها إن كانت جنةً فهذا هو حق اليقين .

قال الله تبارك وتعالى في حق اليقين : ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾[1] سبحان ربي العظيم .

لما دخلوا فيها كان ذلك هو حق اليقين ، ولما رآوها كان ذلك هو عين اليقين ، وأما علم اليقين فلا يكون إلا للمؤمنين الذين يوقنون بالآخرة ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

---

(١) الواقعة : ٨٨ ـ ٩٦ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1] .

ولمزيد إيضاحٍ لمراتب اليقين الثلاثة : نختصر كلاماً للإمام ابن القيم رحمه الله عن هذه المراتب فيقول رحمه الله [2] :

١ - **علم اليقين** ؛ قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [3] .

وتحته ثلاثة أشياء ؛ هي متعلق اليقين وأركانه :

الأول : " **قبول ما ظهر من الحق تعالى** " والذي ظهر منه سبحانه : أوامره ونواهيه وشرعه ، ودينه الذي ظهر لنا منه على ألسنة رسله ، فنتلقاه بالقبول والانقياد ، والإذعان والتسليم للربوبية ، والدخول تحت رقِّ العبودية .

الثاني : " **قَبول ما غاب للحق** " وهو الإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسله من أمور المعاد وتفصيله ، والجنة والنار ، وما قبل ذلك : من الصِّراط والميزان والحساب ، وما قبل ذلك : من تشقُّق السماء وانفطارها ، وانتثار الكواكب ، ونسف الجبال ، وطيِّ العالم ، وما قبل ذلك : من أمور البرزخ ، ونعيمه وعذابه .

---

(١) الحاقة : ٤٨ ـ ٥٢ .

(٢) "مدارج السالكين" (٢ / ٣٧٨ ـ ٣٨١) ط . دار الكتاب العربي ؛ باختصار وتصرف يسير .

(٣) التكاثر : ٥ .

فقبول هذا كله - إيماناً وتصديقاً - هو اليقين - بحيث لا يخالج القلب فيه شُبهة ولا شك ولا تناسٍ ، ولا غفلة عنه ، فإنه إن لم يهلك يقينه أفسده وأضعفه .

الثالث : "**الوقوف على ما قام بالحق**" سبحانه من أسمائه وصفات وأفعاله.

وهو علم التوحيد ، الذي أساسه : إثبات الأسماء والصفات .

فاليقين هو الوقوف على ماقام بالحق ّ من أسمائه وصفاته ، ونعوت كماله ، وتوحيده . وهذه الثلاثة أشرف علوم الخلائق : علم الأمر و النهي ، وعلم الأسماء والصفات والتوحيد ، وعلم المعاد واليوم الآخر . والله أعلم .

٢- **عين اليقين** ؛ قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ (١) .

والفرق بين علم اليقين وعين اليقين : كالفرق بين الخبر الصادق والعيان . . وحق اليقين : فوق هذا .

وقد مثلت المراتب الثلاثة بمن أخبرك : أن عنده عسلاً ، وأنت لا تشك في صدقه ، ثم أراك إياه ، فازددت يقيناً ، ثم ذُقت منه .

فالأول : علم اليقين . والثاني : عين اليقين . والثالث : حق اليقين .

فعلمنا الآن بالجنة والنار : علم اليقين . فإذا أزفت الجنة في الموقف للمتَّقين ، وشاهدها الخلائق ، وبُرِّزت الجحيم للغاوين ، وعاينها الخلائق . فذلك : عين اليقين . فإذا أدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار : فذلك حينئذ حق اليقين .

---

(١) التكاثر : ٧ .

٣- **حـق اليقـين** ؛ قـال الله تعـالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [١] . وقـال سـبحانه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [٢] .

يقول ابن القيِّم رحمه الله : (اعلم أن هذه الدرجة لا تنـال في هـذا العـالم إلا للرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فإن نبيَّنا ﷺ رأى بعينه الجنة والنار ، وموسى عليه السلام سمع كلام الله منه إليه بلا واسطة ، وكلَّمه تكليماً ، وتجلَّى للجبـل وموسى ينظر ، فجعله دكاً هشيماً .

نعم يحصل لنا حق اليقين من مرتبة ، وهي ذوق ما أخبر به الرسول ﷺ مـن حقائق الإيمان ، المتعلقة بـالقلوب وأعمالهـا ؛ فـإن القلـب إذا باشرهـا وذاقهـا صارت في حقه حقَّ يقين .

وأما في أمور الآخرة والمعاد ، ورؤية الله جهرة عياناً ، وسماع كلامـه حقيقـة بلا واسطه ، فحظُّ المؤمن منه في هذه الـدار : الإيـمان ، وعلـم اليقـين . وحـق اليقين : يتأخَّر إلى وقت اللقاء . . . .

وتأمَّل حال ذلك الصحابي الذي أخـذ تمراتـه ، وقعـد يأكلهـا عـلى حاجـة وجوع وفاقة إليها ، فلما عاين سوق الشهادة قامت ، ألقى قُوته من يده ، وقال :

---

(١) الواقعة : ٩٥ .

(٢) الحاقة : ٤٨ ـ ٥٢ .

" إنها لحياةٌ طويلة ، إن بقيت حتى آكل هذه التمرات " [1] وألقاها من يده ، وقَاتَل وقُتِل . وكذلك أحوال الصحابة ﵃ كانت مطابقة لما أشار إليه) [2] .

ومن معاني اليقين : الموت ؛ لأن الموت حق لاشك فيه ولا ريب ، لا يتغير ولا يحول ولا يزول ، أتى على البشر أجمعين ، لم يُبقِ منهم كبيراً ولا صغيراً ، ولا عظيماً ولا حقيراً ، ولا عالماً ولا جاهلاً ، ولا ذكراً ولا أنثى ، أتى عليهم كلهم ، فهو حق لا شك فيه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [3] .

وقال جلا وعلا : ﴿ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ [4] .

والظن قد يأتي في القرآن الكريم بمعنى اليقين ، قال تبارك وتعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [5] .

---

(١) هو عُمير بن الحُمام . والحديث أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة أحد (٤٠٤٦) ، ومسلم في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد (٣ / ١٥٠٩ رقم ١٨٩٩) ، والنسائي في الجهاد باب ثواب من قتل في سبيل الله ﷿ (٣١٥٤) عن جابر ﵁ . وليس فيه هذا القول "إنها لحياة طويلة .." .

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٣٨٠ ، ٣٨١) ط .. دار الكتاب العربي .

(٣) الحجر : ٩٩ .

(٤) المدثر : ٤٣ ـ ٤٧ .

(٥) البقرة : ٤٥ ـ ٤٦ .

﴿ يَظُنُّونَ ﴾ يعني : يستيقنون ؛ لا شك في اعتقادهم هذا ، وظنهم هنا ليس معناه الاحتمال والشك ؛ لا ، وإنما بمعنى اليقين : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾ يعني يستيقنون أنهم ملاقوا ربهم ، وإذا كان الإنسان مستيقناً بأنه سيلاقي الله لا بد أنه سيتهيأ ، ويستعد لذلك اللقاء العظيم الكبير .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾[1] .

﴿ ظَنَنتُ ﴾ يعني تيقنت ، لم أكن في شك أنني سألقى هذا الجزاء ولذلك استعددت وعملت العمل الصالح .

وقال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] ، ﴿ أَلَا يَظُنُّ ﴾ أي : ألا يستيقنون .

ومن خصائص أهل اليقين : أنهم ينتفعون بآيات الله تبارك وتعالى ، يفهمونها ، ويستفيدون منها ، فيعملون بها ويدعون غيرهم إليها ؛ قال الله ﷻ : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[3] .

---

(١) الحاقة : ١٩ ـ ٢٤ .

(٢) المطففين : ١ ـ ٦ .

(٣) الذاريات : ٢٠ .

فالموقن هو الذي يستفيد من هذه الآيات ، أما الذي ليس في قلبه يقين فلـن يستفيد من هذه الآيات ، ولن ينصلح حاله والعياذ بالله ﷻ .

وخصَّ الله ﷻ أهل اليقين بالسعادة والفرح في الدنيا ، فقد رُوي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعاً : (لا تُرضينَّ أحداً بسخط الله ، ولا تحمدنَّ أحداً على فضل الله ، ولا تذمنَّ أحداً على مالم يؤتك الله ، فإنَّ رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ، ولا يرده عنك كراهية كـارهٍ ، وإن الله بعدلـه وقـسطه جعـل الروح والفرح في الرضا واليقين ؛ وجعل الهم والحزن في الشك والسُّخط) [1] ؛ وفي رواية عـن أبي سعيد : (إن من ضعفِ اليقين أن تُرضِيَ الناسَ بـسخَطِ الله تعالى ، وأن تحمدَهم على رزقِ الله تعالى ، وأن تذمَّهم على ما لم يُؤتِكَ الله تعالى ، إنَّ رزق الله لا يَجُرُّه إليك حـرصُ حـريص ، ولا يَـرُدُّه كراهـةُ كـارهٍ ، وإن اللهَ بحكمته وجلاله جعل الروح والفرج في الرضا واليقين ، وجعل الهـمَّ والحَـزَنَ في الشك والسَّخَطِ) [2] ؛ جعل السعادة والفرح والسرور والرضا والحياة الهانئة المطمئنة في ماذا ؟ في المال ! ، في الأولاد ! ، في الجـاه ! ، في المنـصب !! ؛ لا ! (في الرضا واليقين) .

---

(١) أورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " ط. دار الفكر (٦٢٩١) في كتاب البيوع ، باب الاقتصاد في طلب الرزق والإجمال فيه ، وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه خالد بن يزيد ، واتهم بالوضع .

(٢) رواه أبو نعيم في " الحيلة " ، والبيهقي في " شعب الإيمان " ، وضعفه الألباني في " ضعيف الجامع " (٢٠٠٩) ، و " الضعيفة " (٤٨٢) .

فمن كان من أهل اليقين فهو من أهل السعادة ، ومن كان من أهـل الرضـا فهو من أهل السعادة ، ومن كان من أهل السخط والعيـاذ بـالله ﷻ ، والـشك والتردد ؛ فهو من أهل التعاسة والشقاء نعوذ بالله ﷻ أن نكون منهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـه الله : بالـصبر واليقـين ، تنـال الإمامـه في الدين . وأخذ هـذا مـن قولـه تعـالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [(1)] .

صور لأهل اليقين :

وفيه أُشير إشارةً إلى نماذج لأهل اليقين ، وعلى رأسهم أنبياء الله جل وعلا ؛ مما يحدو النفس حدواً لسلوك طريقهم والسير على منوالهم . .

- **نبيُّ الله نوح** عليه السلام ؛ انظر إلى يقينه بربه يوم أن استجاب لأمره إياه بصناعة الفلك في صحراء جرداء ، لا ماء فيها إلا نزراً يسيراً ، مع سخرية قومه به وبـما يصنع . . إذ كيف تسير هذه الفلك عـلى غـير مـاء ؟!! كيـف لهـا أن تَـسَبَحَ في صحراء ؟!! ثمَّ يقينه في استجابته لربِّه بالبراءة من ابنه يوم أن اختار الكفر على الإيمان : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ . . . ﴾ [(2)] .

---

(1) السجدة : ٢٤ .

(2) هود : ٤٦ .

– **نبيُّ الله إبراهيم خليل الرحمن** ﷺ ؛ وانظر إلى يقينه بربه لَّما ذهب وحطم أصنام قومه التي يعبدونها من دون الله ، وهو لا يزال شاباً يافعاً ؛ وقومه كلهم وأبوه معهم ضدُّه ؛ وهو بمفرده . . . لكن يقينه بالله ﷻ وثقته بنصره له دفعه إلى ذلك . . . ثم لَّما علم قومه بما فعل ، وأضرموا له النيران وقيَّدوه ليلقوه فيها ؛ مازاده ذلك إلا يقيناً بربه ، وثقةً بنصره ، وثباتاً على دعوته . . . فجعل الله عليه تلك النار برداً وسلاماً . . .

- ثم يترك زوجته هاجر ، ومعها ولده الرضيع إسماعيل عليه السلام في أرضٍ صحراءَ جرداءَ . . لا أهل فيها ولا ماءَ . . . ولا شيءَ مطلقاً . . . مَهْلَكَةً ، استجابةً لأمر ربِّه . . . ويقيناً بحفظه . .

- ثم تأمل **يقينَ هاجرَ عليها السلام** . . . عندما قالت له : ءآلله أمرك بهذا ؟ . . . فلما قال لها : نعم . قالت : إذاً لن يضيعنا .

- ثم يقينه عليه السلام في تنفيذ أمر ربِّه بذبح ولده الوحيد إسماعيل ، لَّما رأى في المنام أنه يذبحه .. ثم يقين ولده بالتسليم المطلق لذلك الأمر الإلهي العجيب ... وما كان من الله سبحانه ، ورحمته التي وسعت كل شيء إلا أن فداه بذبح عظيم .

- وغير ذلك كثير . . . وما هذه إلا أمثلة ليقين نبي الله إبراهيم ﷺ .

– **نبي الله أيوب** عليه السلام ، ويقينه في صبره على ما ابتلاه به ربه من المرض ، ثم لجؤوه إلى الله في أدبٍ جمّ ، وحياءٍ جميل . بقوله : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (1) .

---

(1) الأنبياء : ٨٣ .

- **نبيُّ الله يونس** عليه السلام ، وانظر إلى يقينه بربه يوم أن التقمه الحوت ، وصار في ظلمات ثلاث . . . ولجأ إلى ربه . . وأيقن بأن الله حافظه ، فلهج بذكره واستغفاره ودعائه بقولـه :﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(1) .

- **نبيُّ الله يوسف** عليه السلام ، ويقينه في مراحل عديدةٍ من قصته ومحنته . . . يـوم ألقاه إخوته في البئر . . .ويوم أن تمَّ بيعه كالعبيد وهو النبيُّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم . . . ويوم أن أصبح غلاماً لعزيز مصر بعد أن كان حرّاً بين إخوتـه وأبويه . . . ويوم أن دُعي للفاحشة وأباها وفضّل السجن عليها . . . إلخ .

- **نبيُّ الله موسى** عليه السلام ، وكيف يقينه بربه في هربه من فرعون وقومه وذهابه إلى أرض مدين . . . ودعاؤه ربه : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ (2) . وكذا في مواقف أخرى عديـدة في مواجهاتـه مـع فرعـون . . . ومنهـا موقـف السَّحرة يوم ألقى العصى ليقابل بها ثعابين السحرة ، وعنده يقين بالله أنه ناصره عليهم . . .

ويوم أن حوصر ومَنْ آمن معه بين البحـر وفرعـون . . . وقـالوا لــه : إنّـا لمدركون !! قال : ﴿ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ (3) .

---

(1) الأنبياء : ٨٧ .

(2) القصص : ٢٤ .

(3) الشعراء : ٦٢ .

بل انظر إلى يقين سحرة فرعون لما خالط الإيمان قلـوبهم . . . وأراد فرعـون أن يصلبهم في جذوع النخل ، ويُقَطِّعَ أرجلهم وأيديهم من خلاف . . . .ما كان منهم إلا الثبات على الدين . . واليقين بالمغفرة والرحمة والرضـوان في الآخـرة بقــولهم : ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (١) .

- **نبينا محمد** ﷺ ، خاتم الرسل وسيدهم وأفضلهم ، ومواقفه في اليقين تَجِلُّ عن الحصر . . ونذكر منها نزراً يسيراً . . كما فعلنا في ذكر بعض مواقـف أنبيـاء الله صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً .

ويقينه ﷺ فوق كل يقين . . ومن ذلك :

- يقينه يوم أن اجتمع من كل قبيلةٍ رجل ، وأجمعوا أمرهم عـلى قتلـه ﷺ ، وانتظروه خارج بيته ، يرصدونه ، ويريدون بياته . . . فخرج عليهم رسول الله ﷺ ، وكله يقين بحفظ الله لـه ، وأخذ حَفْنَةً من البطحـاءِ ، فجعـل يَـذُرُّهُ عـلى رؤوسهم ، وهم لا يرونه ، وهو يتلو قوله تعـالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٢) . (٣) .

---

(١) طه : ٧٢ـ٧٣ .

(٢) يس : ٩ .

(٣) زاد المعاد (٣/ ٥١) ط . الرسالة .

- ثم يقينه في الغار يوم حوصِر ، ومعه أبو بكر ﷺ من قبل المشركين في غار حراء : ففي الصحيحين أن أبا بكر قال : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا فقال ﷺ : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، لا تحزن فإن الله معنا)[1] وكان النبي ﷺ وأبو بكر يسمعان كلام المشركين فوق رؤوسهما ، ولكن الله جل وعلا عَمَّى عليهم أمرهما ، ورعاهما وحفظهما . . .

- ويقينه ﷺ يوم أن تبعهما سُراقة بن مالك في طريق الهجرة ، وأبو بكر يكثر الالتفات ؛ خوفاً على حياة النبيِّ ﷺ لا على حياته هو ؛ والنبيُّ ﷺ ثابت ثبات الجبال الرواسي لا يلتفت ؛ فقال أبو بكر ﷺ : يا رسول الله ! هذا سُراقة بن مالك قد رهَقَنا . فَدَعَا عليه رسول الله ﷺ . فَسَاخَت يدا فرسه في الأرض .

- ويقينه في غزوة بدر ؛ يومَ أن مشى رسول الله ﷺ في أرض المعركة ، وجعل يُشير بيده : هذا مَصْرع فلان ، وهذا مصرع فلان إن شاء الله ؛ فما تعدَّى أحد منهم موضع إشارته[2].

- وكذا يوم لجأ إلى ربِّه ، ولهج لسانه بدعائِه ، وطلب المدد منه سبحانه ففي صحيح مسلم من حديث عمر قال : لما كان يوم بدر ، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين ، وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ، ثم مد يديه ، فجعل يهتف بربه : (اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم

---

(١) رواه البخاري : (٧/ ٨ ، ٩) (في فضائل الصحابة) ، ومسلم (٢٣٨١) .

(٢) صحيح مسلم من حديث أنس ﷺ (١٧٧٩) .

آت ما وعدتني ، اللهـم إن تهلـك هـذه العـصابة مـن أهـل الإسـلام لا تعبـد في الأرض) فما زال يهتف بربه ماداً يديه مـستقبل القبلـة حتـى سـقط رداؤه عـن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ، ثم التزمـه مـن ورائـه وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربَّك ، فإنه سينجز لك ما وعدك . .[1]

- وأخرج البخاري من حديث أنس ﷺ قـال : قـال النبـي ﷺ يـوم بـدر : (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد) ، فأخـذ أبـو بكـر بيده ، فقال : حسبك . فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[2] .[3] .

- ويقينه ﷺ لما خَذَلته يهـودُ بنـي قُريظـة ، ونقـضوا عهـده ، وتحـالفوا مـع المشركين لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه يوم الخندق ؛ فإنه ﷺ لمـا بلغـه الخـبرُ ، وأرسل ليستعلم الأمر ، ووجدهم قد نقضوا العهـد ؛ عنـدها : كَـبَّرَ النبـي ﷺ وقال : (أبشروا يا معشر المسلمين) ... وما ذاك إلا لثقته ويقينه بربه ونصره لهم.

- وانظر إلى يقينه ﷺ في غزوة ذات الرقاع ؛ فعن جابرٍ ﷺ قال : كُنَّا إذا أتينا في سَفَر على شجرة ظليلةٍ تركناها لرسول الله ﷺ ، فلما كنا بذات الرقـاع ، نـزل نبيُّ الله تحت شجرة وعلقَ سيفه فيها ، فجاء رجلٌ من المشركين فأخذ السيف ، فاخترطه ، وقال للنبيِّ ﷺ : أتخافني ؟ قال : لا . قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك ؛ ضع السيف . فوضعه)[4] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) .

(٢) القمر : ٤٥ .

(٣) رواه البخاري (٣٩٥٣) باب : قصة غزوة بدر .

(٤) قوله اخترط السيف: أي استلَّه. والحديث رواه أحمد (١٤٩٢٨)، ومسلم (٨٤٣) في صلاة المسافرين.

هذه أمثلة يسيرة ليقين الأنبياء ...؛ وأما يقين غيرهم فمن ذلك :

يقين الغلام المؤمن والراهب وجليس الملك ؛ وكذا أصحاب الأخدود . . . وكيف كان ثباتهم على التعذيب والتحريق والقتل ؛ يقيناً منهم بموعود الله لهم بالجنة ، والعوض منه سبحانه في الآخرة .

وتأمل يقين تلك المرأة مع رضيعها ، يوم أن ترددتْ في إلقاء نفسها في النار ـ ليس شَكّاً فيما هي عليه من الحق ؛ وإنما خوفاً على رضيعها ـ وكيف أن الله ثبتها بأن تكلم رضيعها بقدرته سبحانه وقال لها : تقدّمي يا أُمَّاه فإنك على الحق [1] .

ويقين آسية زوجة فرعون ؛ وماشطتها ومعها بناتها . . . وكيف تفنن المجرم الطاغية فرعون في تعذيبهم وإبادتهم . . . وهنَّ في ثبات الجبال الرواسي ، وما ذاك إلا يقيناً بوعد الله تعالى والجنة .

وأصحاب النبي ﷺ وكيف كان يقينهم وثباتهم .

انظر إلى **يقين أبي بكر** رضي الله عنه وإيمانه ؛ يوم وفاة النبي ﷺ ، وتخلخل الصفوف ، وذهول الأمة كلها ، واضطراب أمرها وارتداد أكثرها . . . إلخ .

كيف كان يقينه وثباته ، وكيف ثبت بثباته الأمة كلها ؛ ودحر الردة وأنصارها وحفظ الله به الدين ، وأقام به الملة .

---

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه (٣٠٠٥) من حديث صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه .

- **وهذا أبو العلاء الحضرمي** ﷺ وهم في حروب الردة ؛ يعترضهم البحر هو وجنوده معه ؛ فيرفع يديه إلى الله ويناجيه ، فيجعل الله تعالى له الماءَ كأنه أرضاً صلبةً فيمضي عليه هو وأصحابه ؛ وهذا من يقينه ﷺ بربه تعالى .

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : (... ولا شك أن حمل الماء للناس من غير سفينة أعظم من السلوك عليه في السفينة ، وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء ، وفي قصة العلاء بن زياد ، صاحب رسول الله ﷺ ما يدل على ذلك ، روى منجاب قال : غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين ، فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له ، فنزلنا منزلاً فطلب الماء فلم يجده ، فقام وصلى ركعتين وقال : اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك ، نقاتل عدوك ، اللهم اسقنا غيثاً نتوضأ به ونشرب ، ولا يكون لأحد فيه نصيب غيرنا ، فسرنا قليلاً فإذا نحن بماء حين أقلعت السماء عنه ، فتوضأنا منه وتزودنا ، وملأت إداوتي وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا ، فسرنا قليلاً ثم قلت لأصحابي : نسيت إداوتي ، فرجعت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط ، ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم ، فقال : يا علي يا حكيم ، إنا عبيدك وفي سبيلك ، نقاتل عدوك ، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً ، فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لبودنا ، ومشينا على متن الماء ولم يبتل لنا شيء)[1].

---

(١) " البداية والنهاية " (٦/ ٢٥٩) فصل : القول فيما أوتي نوح عليه السلام . ط. مكتبة المعارف .

- **ويقين أنس بن النضر** ﷺ ، والذي قاتل في أُحدٍ قتالاً عنيفاً حتى قُتل ؛ فما عرُفَ حتى عرفته أخته ببنانه ، وبه بضع وثمانون ، ما بين طعنة برُمح ، وضربةٍ بسيف ، ورمية بسهم .

فتأمَّل كيف كان يقينه وثباته ؛ حتى يحصل لـه كل ذلك قبل أن يموت : وتأمل قوله يوم انهزم المسلمون عن رسول الله ﷺ : اللهم إني أعتذر إليك ممَّا صنع هؤلاء ـ يعني : المسلمون ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني : المشركون ـ ثم تقدَّم ؛ فلقيه سعد بن معاذ ، فقال : أين يا أبا عمر ؟ فقال أنس : واهاً لريح الجنة يا سعد ، إني أجده دون أُحد ، ثم مضى [1] .

وفيه وفي أمثاله من أصحاب النبي ﷺ ورضوان الله عليهم جميعاً نزل قوله سبحانه : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [2] . [3] .

وهذا حنظلة ﷺ **غسيل الملائكة** ؛ تأمَّل كيف كان يقينه بأجر الشهادة في سبيل الله ، وعظم الجهاد حتى أنه يوم أن سمع الداعي ؛ يخرج من عند زوجته ! وهو لا يزال جُنباً !! ويقتحم أرض المعركة ؛ حتى يقتل قبل أن يغتسل غسل الجنابة ! فغسلته الملائكة الأبرار الكرام .

---

(١) رواه البخاري (٤٠٤٨) في "المغازي" ، ومسلم (١٩٠٣) .

(٢) الأحزاب : ٢٣ .

(٣) انظر "فتح الباري " (٧/ ٤١٢) .

وتأمل **يقين ذلك الصحابي** الذي لم تذكر لنا كتب السير اسمه ؛ وإنما ذكرت لنا موقفه وثباته ويقينه ، فعن شداد بن الهاد أن رجلاً من الأعراب جاء النبيَّ ﷺ ، فآمن به واتَّبعه ، ثم قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم الرسول ﷺ فيها شيئاً ، فقسم ، وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم لهم ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء ، دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قَسَمَهُ لك رسول الله ﷺ فأخذه ، فجاء به إلى النبيِّ ﷺ ، فقال : ما هذا ؟ قال : (قسمته لك) قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكني اتبعتك على أن أُرمى إلى هاهنا ، وأشار إلى حلقه بسهم فأموت ، فأدخل الجنة . فقال ﷺ : (إن تصدق الله يصدقك) فلبثوا قليلاً ، ثم نهضوا في قتال العدو ، فأُتِيَ به النبيَّ ﷺ يُحمَلُ قد أصابه سهمٌ حيث أشار ، فقال النبي ﷺ : (أهو هو ؟) قالوا : نعم ، قال : (صَدَق الله ، فصدقه) ثم كفَّنه النبيُّ ﷺ في جُبَّة النبيِّ ﷺ ، ثم قدَّمه فصلَّى عليه ، فكان فيما ظهر من صلاته : (اللهم هذا عبدك ، خرج مهاجراً في سبيلك ، فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك) [1] .

---

(١) رواه النسائي (١٩٥٣) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (١/ ٢٩١) والبيهقي (٤/ ١٥ ، ١٦) وقال محققا زاد المعاد ط . الرسالة (٣/ ٢١٤) : سنده صحيح ، وصحَّحه الحاكم (٣/ ٥٩٥ ، ٥٩٦) وأقرَّه الذهبي .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾

قال ابن كثير رحمه الله : (يقول الله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ : أي المتَّصفون بما تقدم من الإيمان بالغيب ، وإقام الصلاة ، والإنفاق من الذي رزقهم الله ، والإيمان بما أُنزل إلى الرسول ومَنْ قبله من الرسل ، والإيقان بالدار الآخرة ، وهو يستلزم الاستعداد لها من العمل بالصالحات وترك المحرمات .

﴿ عَلَىٰ هُدًى ﴾ : أي نور وبيان وبصيرة من الله تعالى : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي : في الدنيا والآخرة .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ ﴾ أي : نور من ربهم ، واستقامة على ما جآءهم ، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ : أي الذين أدركوا ما طلبوا ، ونجوا من شرّ ما منه هربوا) [1] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٩) .

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله : (وتأويل قوله : ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي : أولئك هم المُنْجِحون المُدركون ما طلبوا عند الله تعالى ذكره ، بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله ؛ من الفوز بالثواب ، والخلود في الجنان ، والنجاة مما أعدَّه الله تبارك وتعالى لأعدائِه من العقاب) [1] .

وقال القرطبي رحمه الله : (والفَلْحُ أصله في اللغة : الشق والقطع ؛ قال الشاعر : إنَّ الحديد بالحديد يُفْلَح أي : يشق ؛ ومنه : فلاحة الأرضين إنما هو شقّها للحرث ، قاله أبو عبيد ، ولذلك سُمِّيَ الأكَّارُ فلاحاً . ويقال للذي شُقَّتْ شفته السفلى أفلح ، وهو بَيّن الفَلَحة ، فكأن المفلح قد قطع المصاعب حتى نال مطلوبه . وقد يستعمل في الفوز والبقاء ، وهو أصله أيضاً في اللغة ، ومنه قول الرجل لامرأته : اْستفلِحي بأمرك ، معناه فوزي بأمرك . . .

فمعنى ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ : أي : الفائزون بالجنة والباقون فيها . وقال ابن أبي إسحاق : المفلحون هم الذين أدركوا ما طلبوا ، ونجوْا من شر ما منه هربوا ، والمعنى واحد . وقد استعمل الفلاح في السحور ؛ ومنه الحديث : حتى كاد يفوتنا الفلاح مع رسول الله ﷺ . قلت : وما الفلاح ؟ قال : السحور . فكأنَّ معنى الحديث أن السحور به بقاء الصوم فلهذا سمّاه فلاحاً . والفلَّاح (بتشديد اللام) : المُكارِي في قول القائل :

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٥٦) .

لهـــا رِطـــلٌ تَكيـــلُ الزيـــت فيـــه   وفـــلّاحٌ يـــسوق لهـــا حمـــارًا

ثم الفلاحُ في العرف : الظفر بالمطلوب ، والنجاة من المرهوب)[1] أ.هـ .

صفات المفلحين

وقد وردت نصوصٌ أخرى تذكر بعض صفات المفلحين ، أو تبين حالهم ومن ذلك ما يلي :

١ ـ من القرآن :

قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3]

وقوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4] .

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٢٨) بتصرف يسير .

(٢) آل عمران : ١٠٤ .

(٣) الأعراف : ٨ .

(٤) الأعراف : ١٥٧ .

وقوله ﷻ: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (1) .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (2) .

وقوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (3) .

وقوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (4) .

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (5) .

وقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (6) .

---

(1) التوبة: ٨٨ .

(2) النور: ٥١ .

(3) الروم: ٣٨ .

(4) المجادلة: ٢٢ .

(5) الحشر: ٩ .

(6) التغابن: ١٦ .

٢ ـ من السنة :

١– عن طلحة بن عبيد الله ﷺ قال : جاءَ رجلٌ إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ، ثائر الرأس ، يُسمع دَوِيُّ صَوتِهِ ولا يُفْقَهُ ما يَقُولُ ، حتى دَنَا ، فإذا هو يَسْأَلُ عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : (خمس صلوات في اليوم والليلة) فَقَالَ : هَلْ عَليَّ غَيْرُهَا ؟ قال : (لا ، إلا أنْ تَطَوَّع) . قال رسول الله ﷺ : (وصيام رمضان) . قَالَ : هَلْ عَليَّ غَيْرُهُ ؟ قال : (لا ، إلا أنْ تَطَوَّع) . قال : وذَكَر لهُ رَسُول الله ﷺ الزَّكَاة ، قال : هَلْ عَليَّ غَيْرُهَا ؟ قال : (لا ، إلا أنْ تَطَوَّع) . قال : فَأَدْبَر الرَّجُلُ وَهُو يَقُول : والله لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا ولا أَنْقُصُ ، قَالَ رسول الله ﷺ : (أَفْلَحَ إنْ صَدَقَ) [(١)] .

وفي رواية لهما : (دخل الجنة إن صَدَقَ) [(٢)] .

وفي رواية لمسلم : (أفلحَ ـ وأبيه ـ إن صَدَقَ) .

٢– وعن حُرَيْثِ بنِ قبيصة ﷺ قال : قدِمتُ المدينة وقلت : اللهم ارزقني جليساً صالحاً ،قال : فجلست إلى أبي هريرة فقلت : إنِّي سألتُ الله أن يرزقني جليساً صالحاً ، فَحَدِّثْني بَحَدِيثٍ سَمِعتَهُ من رسول الله ﷺ لعل الله أن ينفعني به ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عَمَلِهِ صلاتُهُ ، فإن صلحتْ فقد أفلحَ وأنجح ، وإن فسدت فقد

---

(١) رواه البخاري (٤٦) ، ومسلم (١١) .

(٢) رواه البخاري (٦٩٥٦) .

خاب وخسر ، وإن انتقص من فريضته ، قال الله تعالى : انظروا هل لعبدي من تطوع يكمل بها ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله على ذلك)[1] .

٣- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (قد أفلح من أسلم ، ورُزِقَ كفافاً وقنَّعَهُ الله بما آتاه)[2] .

٤- وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان ، وجعل قلبه سليماً ، ولسانه صادقاً ، ونفسه مُطمئنة ، وخليقته مستقيمةً ، وجَعَل أُذُنَهُ مستَمِعَةً ، وعَينهُ ناظِرةً ، فأمَّا الأُذُنُ فَقِمْعٌ ، والعينُ مُقِرَّةٌ بما يُوعي القلبُ ، وقد أفلح من جعل قلبه واعياً)[3] .

٥- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه تزوَّج امرأةً من قريش فكان لا يأتيها كان يشغله الصومُ والصلاةُ ، فذُكِرَ ذلك للنبي ﷺ فقال : (صم من كل شهر ثلاثة أيام) ، قال : إنِّي أُطِيقُ أكثر من ذلك ، فما زال به حتى قال له : (صُمْ يوماً وأفْطِر يوماً) وقال له : (اقرأ القرآن في كل شهر) قال إني أُطِيقُ

---

(١) رواه الترمذي (٤١٣) وغيره ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

(٢) رواه مسلم (١٠٥٤) ، والترمذي (٢٣٤٩) وغيرهما .

(٣) رواه أحمد (٢١٣١٠) ، والبيهقي في " الشعب " (١٠٨) ، وقال المنذري في "الترغيب" (١٤) : وفي إسناد أحمد احتمال للتحسين ، وقال في "مجمع الزوائد" (١٠/ ٢٣٢) : إسناده حسن .
وقوله : " نفسه مطمئنة " أي : راضية بالأقضية الإلهية ، "وخليقته مستقيمة " أي : طريقته مستقيمة على الحق ومكارم الأخلاق ، " والعين مقرة " أي : خاضعة معترفة ، "يوعي القلبُ " أي : يحفظه متدبراً متعظاً متفكراً .

أكثر من ذلك ، قال (اقرأه في كل خمس عشرة) ، قال إني أطيق أكثر من ذلك ، قال : (اقرأه في كل سبع) ، حتى قال : (اقرأ في كل ثلاثٍ) ، وقال النبي ﷺ : (إن لكل عمل شِرَّةً ، ولكلِّ شِرَّةٍ فترةً ، فمن كانت فترتهُ إلى سنتي ، فقد أفلح ، ومن كانت فترتهُ إلى غير ذلك فقد هلك)[1] .

وفي تلك الآية التي نحن بصددها من أوائل البقرة ، إشارةٌ إلى أنَّ المتَّصفين بتلك الصفات الحميدة السابقة ، متميِّزون بذلك أكمل تميُّزٍ وأتمَّهُ ، وأعلاه وأوفاه متمكِّنون من أسباب الهداية كلَّ التمكن ، وتأمَّل ما في اسم الإشارة (**أولئك**) من البُعد ، ليدلك على علوِّ درجتهم ، وبُعدِ مرتبتهم في الفضل . فأولئك هم الفائزون وحدهم بما طلبوا ، الناجون وحدهم مما منه هربوا ، فهم أهل الفوز بالجنان ، والناجون برحمة ربهم وفضله من النيران . . أسأل الله أن يَمُنَّ عليَّ وعليكَ ـ أخي القاريء ـ بأن نكون منهم ، وأن يسلك ربنا بي وبك طريقهم ؛ وأن يجعلنا معهم في جنان الخلد وجوار الرب . آمين

(١) رواه أحمد في "المسند" (٦٧٦٤) ، ط . الرسالة ، وقال محققوه : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

والشِّرَّة : الحرص على الشيء والنشاط له . والفَترة : ضِدهُّ .

الفهرس